الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي

جامعة مُحَمَّد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

الذات وسياسة الهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص"

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- عائشة بومكاح
- لبنى بومكاح

إشراف الدكتورة:

دلال حيور

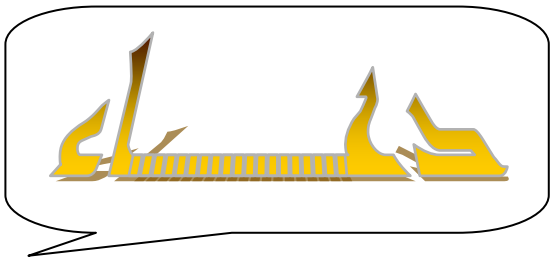
الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د/ كمال بولعسل	أستاذ محاضر "أ"	جيجل	رئيسا
د/ دلال حيور	أستاذة محاضرة "ب"	جيجل	مشرفا
د/ فيصل لحمر	أستاذ محاضر "أ"	جيجل	ممتحنا

السنة الجامعية:

2019 / 2020 م

1441 / 1442 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

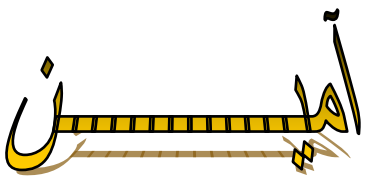


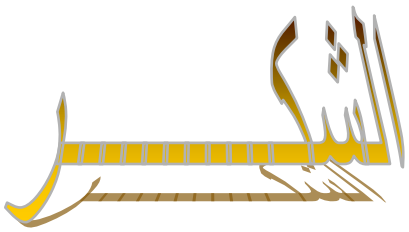
قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286]

يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما

" اللهم أعنا بالعلم وزينا وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية"





اللهم إن الشكر والحمد لك في الأول والأخير، فبنعمتك تتم الصالحات وإليك منتهى الطلبات والرغبات.

وبعد الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين الذي بفضله أشرق نور الإيمان، وعلت كلمة الرحمان، يقول ﷺ " من اصطنع لكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد شكرتم، فإن الله شاكر يحب الشاكرين".

نتقدم بوافر الشكر والامتنان للدكتورة الفاضلة "دلال حيور" على كلّ توجيهاتها ومساعداتها لنا من أجل إتمام هذا البحث ، كما نشكر كل من غرس فينا روح حب العلم والمعرفة طيلة الحياة الدراسية.

تحية تقدير واحترام إلى الأستاذ الدكتور "فيصل لحمر" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ومعلوماته القيمة، والشكر موصول إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين لم يبخلوا علينا بآرائهم واقتراحاتهم، كما نتوجه بالشكر لكل الزملاء والزميلات.

مقدمة

يعتبر الكثير من النقاد والدارسين أنّ الرواية نتاج لأوضاع اجتماعية معينة، تختفي تحت أنسجة لغوية مضمرة ترمز إلى الكثير من القضايا الحساسة، وخاصة ما يتعلق منها بالذات الإنسانية، فالرواية اليوم هي فن يحاكي الذات بامتياز، إذ يعنى بالبحث عن الأسس الباطنية العميقة التي تقوم عليها الذات، والتي من شأنها أن تعزز لنا أزمات وصراعات داخلية. ذلك أن الذات لا تدرس بعيدا عن سياقها الإيديولوجي والثقافي والهوياتي....الخ، لكن هذه الذات وبكل قداستها وأهمية ما تحمل من معاني، تعاني اليوم من الضعف والانكسار بل والاستبعاد والتهميش إثر تكالب العدو عليها، ومن الروائيين الجزائريين الذين سلطوا الضوء على هذا الموضوع الحساس، نجد "عمارة لخوص" في روايته:" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك".

فقد جاء اختيارنا لموضوع المذكرة الموسوم بـ"**الذات وسياسة الهوية في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لـ عمارة لخوص**" نابعا من تضافر مجموعة من المبررات والأسباب الذاتية والموضوعية؛ فأما الذاتي منها فيتمثّل في وجود ميولات شخصية في قراءة هذا النوع من الروايات، والذي يعالج قضايا إنسانية بالدرجة الأولى، والتي تتميّز عناوينها بفتح أفق القراءة الذي يتجاوز الحدود المباشرة، بالإضافة إلى الرغبة في أن يكون موضوعنا يتوافق مع التخصص الذي كان حاسما في اختيارنا لهذا النوع من الدراسة، أما الدافع الرئيسي الذي جعلنا نتمسك أكثر بهذا الموضوع هو تأثرنا بمعاناة الأقليات المغمورة في ظل الهيمنة التابعة لسلطة الآخر.

أما الدافع الموضوعي فيتمثّل في قلة الدراسات الأكاديمية – بحسب حدود اطلاعنا- التي تناولت جانبي الذات والهوية في رواية "عمارة لخوص"، حيث وقفنا عند وجود دراستين تناولتا جزئيتين مختلفتين عما تناولناه في بحثنا، وهما:

- الاغتراب في الرواية الجزائرية المعاصرة" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"لـ"عمارة لخوص" أنموذجا[1].

- والخصوصية الثقافية في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لـ"عمارة لخوص"[2].

بناء على ما تقدّم ذكره جاءت هذه الدراسة للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، فرضتها طبيعة الموضوع، من أبرزها مايلي:

- إلى أي مدى يمكن التسليم بمدى قابلية الذات على الانفتاح على الآخر؟ وكيف انعكس هذا في رواية" عمارة لخوص"؟.

- إلى أي مدى استطاعت الذات الحفاظ على خصوصية الهوياتية، في ظل تأثيرات العوامل الخارجية؟.

[1] مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص نقد عربي معاصر، من إعداد الطالبتين: زينة مانع، وهناء كعوان، إشراف الأستاذ سنوسي خبراج، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل–، السنة الجامعية 2016/2015:.

[2] مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص نقد عربي معاصر، من إعداد الطالبتين: بوالريحان نور الهدى، وبوشاشي زهيرة، إشراف الأستاذة نسيمة حارش، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل– ،،السنة الجامعية:2015/2014م.

-هل استطاعت رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" أن توضّح الصراع الأزلي بين الذات والهوية وتزيح الستار عن بعض الحقائق المضمرة؟ .

وبغية الوصول إلى الإجابة عن كلّ هذه التساؤلات، استعنا بالنقد الثقافي الذي رأينا بأنّه الأنسب لهذه الدراسة باعتباره مبحثا حيويا داخل الدراسات الثقافية، كما استعنا بآليتي الوصف والتحليل.

اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على منهجية تنبني أساسا على فكرة المزاوجة بين التنظير والتطبيق- في كلا الفصلين-، وللإحاطة بكلّ جوانب الموضوع اعتمدنا خطة من فصلين، مع مقدمة وخاتمة.

أما الفصل الأول والمعنون بـ"تجليات الذات في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، فقد قسمناه إلى عنصرين؛ تناولنا في العنصر الأول المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الذات، حيث تم تحديد مفهوم المصطلح عند كل من:علماء الاجتماع، وعلماء النفس، وعلماء الأخلاق والسياسة والفلسفة؛ حيث يشتمل مصطلح-الذات- في مفهومه الاجتماعي على مجموع المعتقدات والتوجهات الخاصة بمجتمع معين، أمّا الجانب النفسي منه فيتمثل في مجمل الرغبات والمشاعر المكبوتة في باطن النفس الإنسانية. أما من الناحية السياسية فيقوم مفهوم مصطلح الذات على رصد مختلف توجهات الفرد السياسية داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، وأخيرا عالجنا الذات من الجانب الفلسفي وعلاقتها بتحقيق الوجود الإنساني نفسه.

أما العنصر الثاني فقد حاولنا من خلاله رصد ملامح الذات ومواطن ظهورها في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"؛ بداية من عتبة العنوان التي تعد النافذة الأولى التي نطل من خلالها على محتوى

الرواية، ثمّ انتقلنا إلى عنصر الولادة وشهوة الحضور، والمتمثل في محاولة إثبات الذات لذاتها إثر اصطدامها بالآخر المغاير لها، بالإضافة إلى صحوة الذاكرة والمتمثلة في صحوة الذات وحنينها إلى الماضي والذكريات الدفينة، كما حاولنا أيضا رصد ملامح الذات من خلال بعض أشكال كتابة الذات-أو ما يسمى بالأدب الشخصي-، كالسيرة الذاتية ،واليوميات، والاعترافات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالذات نفسها.

أما الفصل الثاني المعنون بـ"سياسات الهوية وأبعادها في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" فقد قسمناه إلى ثمانية عناصر؛ حاولنا من خلال العنصر الأول إعطاء مفهوم واضح لما يطلق عليه بسياسات الهوية، هذه الأخيرة التي من شأنها أن تمنح الأقليات إحساسا بالفخر بهويتهم، وتمكينهم من الخروج من وضعهم الهامشي، أو تمنحهم الإحساس بالتبعية والرضوخ للآخر فيعيشون مستبعدين ومهمشين.

ثمّ انتقلنا في العنصر الثاني إلى رصد التباين المفاهيمي لمصطلح الهوية بشقيه اللغوي والاصطلاحي، الذي تميّز بانفتاحه على مجالات معرفية مختلفة كعلم الاجتماع، وعلم النفس والفلسفة؛ فهي عند علماء الاجتماع جزء لا يتجزأ من كينونة الفرد فكلما كان الفرد إيجابيا ومتحليا بالقيم الأخلاقية كلما كانت هويته حقيقية. أما الهوية عند علماء النفس فهي ترتبط بكلّ ما له علاقة بالوجود من جهة ، ومن جهة أخرى فهي تحمل معنى التميّز والتفرد عن الآخر ومدى وعي الذات لذاتها، أما من جانب علماء الفلسفة فهي تتعلّق بجوهر الشيء وحقيقته.

أما العنصر الثالث فقد خصصناه للحديث عن مقومات الهوية :كالعادات والتقاليد ، والثقافة، التاريخ والاسم.....الخ، فقد استطعنا من خلاله تحديد الانتماء الحقيقي لكل شخصية من شخصيات الرواية عن طريق تمسكها أو رفضها لمقومات هويتها. أما العنصر الرابع فقد خصصناه لتحديد العلاقة بين

الهوية وسياسة الرفض من منطلق توضيح صورة المهاجر المغترب ومعاناته في غربته، والشحنات السلبية التي أصبح يحملها بسبب كلّ ما يتعرض له من قمع ورفض ونبذ من طرف الآخر.

أما العنصر الخامس وقفنا فيه عند العلاقة بين الهوية وسياسة الاغتراب، أين تجد الذات نفسها في عالم جديد، وثقافة جديدة، وبالتالي هوية جديدة، فالاغتراب في أكثر حالاته هو عجز عن تحديد الهوية، الأمر الذي يفضي إلى أضرار نفسية تكابدها الذات في غربتها فتصاب في الكثير من الأحيان بالاكتئاب، والإحباط،...الخ .

جاء العنصر السادس والموسوم بـ: الهوية بين الثابت والمتحول، للوقوف عند مجموعة من الثوابت والمقدسات التي تميّز كل بلد عن الآخر، إذ تقاس بهذه الثوابت مدى قدرة الذات على الحفاظ على هويتها، والتمسك بخصوصيتها الثقافية في ظلّ وجود مجموعة من المؤثرات الخارجية التي تجعل الفرد يتخلى عن هويته.كما رصدنا في العنصر السابع العلاقة الضمنية بين الهوية و الإيديولوجيا على اعتبار أنّ الأيديولوجيا-في أحد مفاهيمها- ماهي إلاّ رموز وإشارات معينة يعبر بها كلّ فرد عن أفكاره، والتي من شأنها أن تعكس هويته الحقيقية.

أما العنصر الأخير من الفصل الثاني فقد تناولنا فيه العلاقة التي تربط بين الهوية وإيديولوجية المكان، فالمكان لا يشكل رقعة جغرافية محددة الرسوم والمعالم وحسب، بل قد يتجاوز هذا المعطى باعتبار أنّه قد يحمل في طياته حمولات إيديولوجية معينة . لقد حاول كل عنصر من العناصر السابقة الذكر أن يختصر لنا علاقة الذات بالآخر، ويجسد لنا الصراع الأزلي بين الذات والهوية.

– و في الأخير جعلنا للبحث خاتمة ضمناها أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

ولتحقيق مقتضيات البحث اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع المؤسسة للموضوع، في مقدمتها المصدر الأساسي وهو رواية"عمارة لخوص""كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، كما استعنا بمجموعة من المراجع التي تنوعت بحسب فصول المذكرة؛ بين كتب تناولت موضوع الذات من مثل ما نجده عند:" أحمد برقاوي"في كتابه "أنطولوجيا الذات، بيان من أجل ولادة الذات في الوطن العربي"، و"أسامة خيري"في كتابه" تطوير الذات، إداريا، أكاديميا، اجتماعيا"، و" حكيم أمقران" في كتابه "البحث عن الذات في الرواية الجزائرية الطاهر وطار أنموذجا(مقاربة سوسيو–ثقافية)، وكتب أخرى عالجت موضوع الهوية من مثل ما نجده عند:"حسن حنفي حسنين" في كتابه" الهوية "، و"عبد السلام المسدي" في كتابه"الهوية العربية والأمن اللغوي"، وغيرها من المراجع العربية والمترجمة التي ساهمت من دون أيّ شك في توضيح كلّ جزء من أجزاء هذا البحث.

ولاشكّ أنّ إنجاز هذا البحث قد واجهته عدة صعوبات وعراقيل، ناجمة أساسا عن الوضع والظرف الصحي الخاص الذي نمرّ به– انتشار وباء كورونا– وما ترتّب عنه من صعوبة التواصل المباشر مع المشرف، إضافة إلى صعوبة الحصول على المراجع بسبب غلق الجامعات لما يقارب الستة أشهر.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل لمن ساهمت في توجيه هذا البحث بكل خطواته المنهجية والمعرفية القيّمة للدكتورة" دلال حيور"، والتي بفضل الله تعالى وتوجيهاتها تمكنا من إتمام هذا البحث. كما نتوجّه بشكر خاص إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما تكبدوه من عناء خلال قراءة هذا البحث، وعلى الملاحظات القيمة التي ستضيف للبحث الكثير.

الفصل الأول

تجليات الـذات في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"

أولا: في إطار المفهوم

1-المفهوم اللغوي لمصطلح الذات

2-المفهوم الإصطلاحي لمصطلح الـذات

ثانيا: ملامح الذات في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضـك

1-ملامح حضور الذات في عتبة العنوان

2-ملامح حضور الذات بين الولادة وشهوة الحضور

3-ملامح حضور الذات من خلال الذاكرة: (صحوة الذاكرة)

4-ملامح حضور الذات من خلال سلطة الإتصال

5- ملامح حضور الذات من خلال الأشكال المشابهة للسيرة الذاتية

أولا: في إطار المفهوم

إنّ التعقيد الذي تتميز به الحياة النفسّية العميقة للذات جعلها تحظى باهتمام الكثير من النقاد القدامى والمعاصرين، فحاولوا تفسير الكثير من مظاهرها بغية الوصول إلى حقيقتها، ولعلّ من أوكد الأسباب التي جعلتنا نهتم بمصطلح الذات هو ما يعتريه من لُبس وغموض يجعلانه من دون شك مدار اهتمامات معرفية مختلفة، ولعلّ غموض هذا المصطلح يعود أساسا إلى صعوبة حده من منظور واحد فهو موضوع اهتمام علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأخلاق...إلخ. ولما كان مصطلح الذات على هذه الدرجة من الأهمية، حاولنا أن نلّم ببعض تعريفاته حتى نستطيع أن نستوعب ماهيته اللغوية والاصطلاحية.

1- المفهوم اللغوي لمصطلح الذات:

جاء في المعجم الوسيط أنّ الذات هي: «النفس والشخص ويقال في الأدب نقد ذاتي يرجع إلى آراء الشخصية وانفعالاتها وهو خلاف الموضوعي»[1]، ترتبط الذات هنا ارتباطا وثيقا بالنفس الإنسانية وما تختلجها من انفعالات شخصية، وكأنّ الذات في هذا السياق جاءت كنقيض للآخر المضاد، والذاتية هنا جاءت كنقيض للموضوعية.

[1]- إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، والقاهرة، مصر، ط03، 1989، ص307.

واستكمالا للمفهوم السابق يُضيف أصحاب معجم الوسيط أنّ ما « عرفه من ذات نفسه وسريرته المضمرة وجاءت في ذات نفسه طليعا»[1]، هي إشارة إلى الأنا العميقة أو الشّعور الباطني للذات وما يختلجها من عواطف وأحاسيس مضمرة.

كما ورد مصطلح الذات في المعجم الوسيط من منظور مختلف عن المفهوم السابق في قول صاحب المعجم: « لقيته ذات يوم ولقيته ذات مرة في يوم أو مرة»[2]، ترتبط الذات هنا بكل ما له علاقة بالزمان والوقت وهذا ما ذهب إليه ابن منظور في قوله« أتيتك ذات عشاء تدل ظرف الزّمان ووقت العشاء»[3].فدلالة الذات عند ابن منظور ترتبط أيضا بالوقت وبوقت العشاء على وجه التحديد.

هذا وقد تحدّد معنى الذات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية على أنّه: « قد يطلق الذات ويراد به الحقيقة وقد يطلق ويراد به ما قام بذاته »[4]،ترتبط الذات بجوهر الشيء وماهيته، إذ تمثّل الحقائق المطلقة التي تجعل الشيء يتفرد عن غيره، وهنا إشارة ضمنية إلى الآخر المختلف عن الذات اختلافا جوهريا.

كما ذُكر مصطلح الذات أيضا في القرآن الكريم في قوله عزّ وجل:« وترى الشمس إذا طلعت تزاور، عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال»[5]، وجاءت هنا لتحمل معنى الجهة والاتجاه.

---

[1]- المرجع السابق، ص 307.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- ابن منظور: لسان العرب، دار النشر، بيروت، لبنان، ط01، 2000،مادة ذات. .

[4]أبو البقاء أيوب بن موسى: معجم المصطلحات والفوارق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دط، 1998، ص329.

[5]- القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية17.

ممّا سبق نصل إلى أنّه لا يوجد مفهوم محدد وشامل لمصطلح الذات، ذلك أنّه يرتبط بالتصورات والخيالات الفردية المضمرة في أعماق الذات الإنسانية، ولذلك صعب حد المصطلح لغويا من منظور واحد.

2- المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الذات:

يُعتبر مصطلح الذات محل اهتمام مجالات معرفية مختلفة، حاول أصحاب كل اختصاص تحديد مفهومهم للمصطلح من زوايا مختلفة، ارتبطت بالثوابت المعرفية المتعلقة بطبيعة العلاقة الموجودة بين كل مجال معرفي ومنظومته الاصطلاحية، فارتأينا أن نتتبع هذه التعريفات، وأن نقف عند وجوه استعمالها بشكل "عام" في كل مجال من المجالات (علم الاجتماع، علم النفس،...إلخ)، وتوظيفها في رواية عمارة لخوص بشكل "خاص".

2-1- مفهوم مصطلح الذات عند علماء الاجتماع:

يعرّف عالم الاجتماع "جورج هربرزت ميد" الذات في قوله: « الذات هي شيء يتم اكتسابه وتطويره فهي لا توجد منذ الولادة ولكنها تبرز من خلال الخبرة والنشاط الاجتماعي، بمعنى أنها تنمو وتتطور بالنسبة للفرد كنتيجة لعلاقته بتلك العملية»[1]، فالذات عند "جورج هربرزت ميد" لا تكون بالفطرة وإنما بالاكتساب، فهي تنمو وتتطور عن طريق العلاقة التي تربط الذات بالآخر سواء بالسّلب أو الإيجاب، وذلك عن طريق اكتساب أفكار وآراء ومعتقدات معينة، وهذا ما تجسد في مقاطع كثيرة في رواية عمارة

[1]- ريتشارد دلوسن، كيينيت برويت، كارن داوسن: التنشئة السياسية دراسة تحليلية، تر: عبد الله ابو القاسم خشيم وآخرون، منشورات جامعة بنغاري، دط، دت ،ص62.

لخوص، نمثّل لها بما اكتسبه " أمديو"*من معتقدات جديدة مختلفة كلية عن عقيدته التي ترفض مثل هذه السلوكات الناجمة عن التأثّر بالآخر_ الإيطالي_إذ « بدأ أمديو يرتاد البار كل صباح لا يفارقه الثالوث المقدس: كابوتشينو وتورينتو وصحيفة الكوريير دلاسيرا »[1].

فالذات لا تنمو ونمو الفرد وبالتالي فليس من الضروري أن يُولد الشخص ويموت بنفس المعتقدات، بل يمكن له اكتساب معتقدات جديدة لتأثّره بالمجتمع الجديد الذي أصبح يعيش فيه، فقد تأثر " أمديو" بثقافة المجتمع الإيطالي ما أدى به إلى تغيير أفكاره ومعتقداته من خلال العادات التي أصبح يقوم بها يوميا.

من جهة أخرى يقدم "جورج هربرزت ميد" تعريفا آخر لمفهوم الذات في قوله: « الذات لا تقتصر على جسم الفرد فقط وإنّما هي تتضمن كل ما يدخل في مجال حياته من الماديات والمعنويات، كما تتضمن الأفراد والآراء والمعتقدات»[2]، بمعنى آخر تتعدى الذات الجانب المادي لتشمل الجانب المعنوي، فهي تمسّ كل ما هو نفساني وجسماني، إذ تتعلق بكل ما يرتبط بحياة الفرد من آراء، معتقدات، تفكير، شعور، سلوكات وتصرفات.

*أمديو: يمثل شخصية " أحمدسالمي" اللاجئ الجزائري، الذي اتخذ من روما ملجأ له، تبدأ معاناته بعد فقدانه لحبيبته "بهجة" في العشرية السوداء، ولقد كان لشخصية أمديو دور محوري في الرواية فقد عكس وبقوة صورة المثقف المنفتح الذي جعل من اللغة الإيطالية حليبه اليومي لكي يثبت وجوده، ولقد كان حضوره بمثابة اللبنة الأساسية التي تبنى عليها الرواية والتي انعكست في مواقفه مع الشخصيات المحيطة به، فهو الذي كان يبث الأمل في نفوسهم ويوجههم إلى المسار الصحيح.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم، العاصمة الجزائر، ط2 ، 1427هـ ، 2006م، ص107.

[2]- أسامة خيري: تطوير الذات، إداريا، أكاديميا، اجتماعيا، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2014، ص35.

ففي مقابل شخصية "أمديو" التي تنازلت بسهولة عن معتقداتها القديمة_الإسلامية_ وأصبحت لها معتقدات جديدة تؤمن بها_نتيجة التأثر بالآخر الإيطالي تحديدا_، نجد شخصية "إقبال أمير الله"* التي تصرّ على الحفاظ على معتقداتها واحترامها والتتشبّت أكثر بتعاليم دينها الإسلامي.

يقول "إقبال أمير الله": « البنغاليون لا يرسلون زوجاتهم إلى المدارس لأن الإسلام يُحرّم علينا الاختلاط»[1].فبالرغم من اختلاف ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه"إقبال أمير الله" عن مجتمعه الأصلي، إلا أنّه ظل متمسكا بانتمائه الديني، ذلك أنّ دينه يُحرّم اختلاط النساء بالرجال، فالمرأة لا بد أن لا تنكشف على غير محارمها.

ومن علماء الاجتماع الذين تتفق مفاهيمهم لمصطلح الذات مع "جورج هربرزت ميد"، نجد "طه عبد العظيم" الذي يعرف الذات على أنّها: « تنظيم إدراكي يتضمن جميع الأفكار والوجدانيات والنّزوعيات لدى الفرد، والتي تعبّر عن تصوره لخصائصه البدنية والعقلية ولكل أنماط سلوكه المختلفة»[2].

*إقبال أمير الله: المهاجر البنغالي المسلم، الذي يعتبر " أمديو " الإيطالي المفضل عنده، وقد جسد إقبال أمير الله من خلال موقفه في الرواية صورة المهاجر المحافظ، الذي يتجنب الاحتكاك مع الآخر المغاير، على اعتبار أن أي علاقة قد تربطه بهذا الأخير قد تكون خيانة لانتمائه وهويته.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص60.

[2]- محروس محمود محروس، أشرف أبو الوفا عبد الرحيم: التعليم الخليط وأثره على تنمية الأداء المهاري وتقبل الذات لدى المعاقين حركيا، دار الوفا لدنيا الطباعة، الإسكندرية، ط1، 2014 ص87.

يمكن أن نوضّح فحوى هذا المفهوم في رواية "عمارة لخوص" من خلال شخصية"بارويز"* التي استطاعت من خلال استيعابها لأصول الطبخ الإيطالي أن تقف عند حبهم- الإيطاليين- الشديد للبيتزا والمعجنات بكل أنواعها،وهي تستغرب هذا النّهم غير الطبيعي بقدرتهم على التهام كميات معتبرة من هذا النوع من المأكولات_ خاصة العجائن منها_،يقول بارويز: « كيف يستطيع الإيطاليون التهام هذه الكميات المعتبرة من العجائن في الصباح والمساء؟(...) أنا أكره البيتزا كرها لا نظير له»[1]، كما يقول في موضع آخر من الرواية: «... ثم الطبق الأول أي البريمو الذي يشمل على العجائن المتنوعة التي لا أطيق رؤيتها مثل سباغيتي ورفيوليو فيتوشيني ولازانيا إلى آخر القائمة»[2].

من خلال هذين المقطعين من الرواية يتضح لنا أنّ شخصية "بارويز" ترفض وبشدة هذا النوع من المأكولات التي يشتهر بحبها المجتمع الإيطالي، والأكيد أن هذا الرفض يعود إلى وجود مبررات تتعلق بآرائه ومعتقداته حول نوعية الأكل الصحي الذي لا بُدّ لأي شخص أن يتناوله حتى لا يتأذى، فكان من دون شك هذا الأمر لا ينطبق على العادات السيئة التي كانت تدفع بالإيطاليين إلى تناول كميات كبيرة من المعجنّات وفي مقدمتها البيتزا والعجائن بكل أنواعها، وهذا الأمر انعكس سلبا على سلوك "بارويز" حيث أصبح يكره كل ما يتعلق بأحوال الطبخ الإيطالي بالمجمل.

---

*بارويز: إسمه الكامل باويز منصور صمدي الإيراني، اللاجئ الذي هربا من الموت، تبدأ معاناته عندما رفض العمل عند الإيطاليين، كما رفض حتى تكلم لغتهم، وهذا كان بسبب الخلفية المشكلة في ذهنه عن الآخر، فهو يرى أن الشعب الإيطالي بحكم انتمائه وثقافته وديانته المختلفة، قد يشكل خطرا على ثقافته وانتمائه وهويته، وهذا ما زاد كرهه لهم.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص17.

[2]- المصدر السابق، ص11.

وفي مقابل هذا النّفور والكره الواضح لنوعية أكل المجتمع الإيطالي، تظهر لنا في الرواية شخصيات أخرى تُبدي توجهات سلبية ومشاعر كره اتجاه كل المهاجرين، ومن بينهم "بندتا إسبوزيتو"* التي تعمل بوابة في نفس العمارة التي يقطنها "بارويز"، تظهر بوادر السّخط والكره عند هذه الشخصية في بعض هذه المقاطع التي سنستشهد بها في مثل قولها: « أتساءل مصير الضرائب التي ندفعها للدولة، أليس لحمايتنا من هؤلاء المنحرفين ؟ لماذا لا يزجون بإقبال والألباني وبقية المهاجرين والمنحرفين في السجون أو يطردونهم من البلد»[1].فكلّ أفكار "بندتا" اتجاه المهاجرين سلبية، وذلك من خلال معايشتها لهم، ما جعل ذاتها الاجتماعية تكن لهم كل أنواع البغض والحقد والغيرة.

كما تذكر "بندتا" في موضع آخر من الرواية: «أنا الإيطالية العجوز المريضة أشقى وأتعب وهي المهاجرة الشابة السمينة التي تطفح بالصحة تأكل ما طاب لها وتنام ما شاءت كالقطة المدللة»[2].يتضّح في هذا المقطع النصّي المشاعر الحقيقية التي تشعر بها "بندتا" اتجاه المهاجرين عموما وإحدى المهاجرات على وجه الخصوص حيث أبدت استياءها الواضح من حالتها الاجتماعية وتعتقد أنّها ظلمت في بلدها لأنّ هذه المهاجرة السمينة تتمتع بامتيازات أكثر منها وهذا ما يبرر مشاعر الكره والبغض اللذين تحملانهما "بندتا" لكل أفراد هذه الفئة الدخيلة على المجتمع الإيطالي فهي منبوذة من طرفه.

---

*بندتا إسبوزيثو: البوابة المسؤولة عن العمارة التي يقطن بها أغلب المهاجرين والتي تحمل ضغينة اتجاه الجميع ما عدا أمديو ولقد انعكست شخصية بندتا في صورة سلبية تعبر عن المشاعر التي يحملها الأنا للآخر المغاير والمهاجر على وجه الخصوص وذلك من خلال الهمجية التي تمارس على الذات المهاجرة والوصول إلى إهانتهم بطريقة وحشية، مما أثر سلبا على الذات وجعلها تعيش حالة من التمزق والاضطهاد.

[1]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 40.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

اتفق كل من "جورج هربرزت ميد" و "طه عبد العظيم" على أنّ الذات شيء يتم اكتسابه عن طريق علاقة الأنا بالآخر المغاير والمختلف عنه في الآراء والمعتقدات والأفكار...إلخ، ليأتي العالم "روجرز" بمفهوم مناقض لسابقيه حيث يرى أنّ «مفهوم الذات ينمو ونمو الأطفال أثناء ملاحظاتهم لسلوكاتهم وسلوكات غيرهم، ففي مراحل نموهم يقومون بتحديد سمات محددة وحقهم على درجة من الوعي سواء كانت إيجابية أو سلبية، وهذا ما ينتج لنا أنا اجتماعية وبالتالي تتطور مفاهيم الذات رويدا رويدا»[1].

فالذات عند "روجرز" تتشكل شيئا فشيئا مع نمو الفرد وذلك منذ مرحلة الطفولة عن طريق اكتشافه لنفسه وغيره والعالم المحيط به، مما يولد أنا اجتماعية واعية لها سمات معينة تمكن الفرد من التعلم والاحترام داخل البيئة التي ينتمي إليها .

مما سبق يتبين لنا أنّ الذات أو الشخصية الإنسانية هي المادة الخام التي تبنى عليها شخصية الفرد وصفاته في مختلف الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والتعليمية وحتى الجسدية.

2-2- مفهوم الذات عند علماء النفس:

انطلق علماء النفس في تعريفهم لمصطلح الذات من خلال الفصل بين مكونات الكائن الإنساني، فهو من منظورهم ينقسم إلى جزأين؛ الجزء الأول باعتباره كمادة حيوية وعقلية، والجزء الثاني باعتباره حياة

[1]- المصدر السابق، الصفحة السابقة.

حسية وشعورية ونفسية فالحياة النفسية هي التي تحكم سلوكات الفرد وتصرفاته بغية إثبات الأنا، وتوفير الحاجيات الضرورية لها[1].

نفهم من هذا القول أنّ الحياة النفسية تقوم على ثنائية ضدية متكاملة قوامها الشعور واللاّشعور، فإذا كان الشعور هو الذي يجعل الإنسان واعيا لسلوكاته وبكل ما يحيط به، فإنّ اللاشعور هو الذي يساعده على اكتشاف الجانب الخفي من ذاته.

2- 2- 1- مستويات الجهاز النفسي عند "سيغموند فرويد":

إنّ التحليل النفسي الذي جاء به"سيغموند فرويد"خلص إلى الإقرار بوجود ثلاث مستويات للجهاز النفسي والتي من شأنها أن توضح لنا حقيقة الحياة النفسية التي تكابدها الذات في حياتها الباطنية، ذلك أن اللاّشعور حسب سيغموند فرويد يقر بأنّ العملية اللاشعورية مهمة جدا في التحليل النفسي بل هي جوهرها وأساسها، فالحالة اللاّشعورية مقرونة بالذات البشرية على اعتبار أن الذات هي شيء غير ملموس.

[1]- سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: عثماني نجاتي، دار الشروق، بيروت ،دط، 1972م، ص16.

2- 2-أ-1- الهو:

يمثل "الهو"«مستودع الطاقة والغرائز، ويعمل وفق مبدأ اللذة وطلب اللذة الحاصلة بأي وسيلة دون اعتبار لواقع أو تفكير أو عواقب، وتمثل فيه الغرائز والدوافع اللاشعورية الأهمية والوزن الأساسيين، وهو في نهاية الأمر يمثل الجانب التاريخي القديم في الشخصية»[1].

نفهم من هذا القول أنّ "الهو" ما هو إلا مجموعة الغرائز والدوافع الفطرية ومختلف الرغبات والميولات التي نسعى إلى إشباعها، غير مهذبة وغير أخلاقية ومتحررة من القواعد؛ ذلك أنّ "الهو" لا يتقيد بالمعايير الأسرية والاجتماعية والأخلاقية، فهمه الوحيد هو إشباع الرغبات الغريزية التي تقوم على مبدأ "اللّذة " بشكل أناني وعدواني.

تحتفي رواية "عمارة لخوص" بهذا العنصر – الهو- الذي يتجسد في مواضع كثيرة من الرواية من مثل ما يمكن أن نقف عنده مع شخصية "ماريا كريستينا"*. تحاول هذه الشخصية الحدّ من المكبوتات التي كانت تعاني منها في باطنها اللاشعوري « عندما تبدأ الشمس بالغروب يزداد قلقي وأحس أنّ رحلتي

[1]- فرج عبد القادر طه وآخرون : معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1،دت، ص477.

*- ماريا كريستينا: هي مهاجرة غير شرعية كانت تعتني بعجوز قاطنة بالعمارة. غادرت ماريا بلدها طمعا في الحصول على لقمة العيش، لكنها سرعان ما وجدت نفسها في غابة تحكمها الذئاب، فقد جسدت ماريا صورة المهاجرة الضعيفة التي تنتقم من نفسها عن طريق ارتكاب الفواحش بسبب الظلم والاستبداد المسلط عليها من طرف الآخر، وخاصة البوابة"بندتا إسبوزيتو" التي كانت تهددها دائما بإبلاغ الشرطة وإخبارهم عن مكانها لأنها كانت تعلم بأنها لا تملك وثائق الإقامة.

على وشك الانتهاء، فأستعين بزجاجات البيرة وأستنجد بمشروب بيسكو الكحولي لصد هجمات الحزن أشرب كثيرا لأنسى العالم وماضيه»[1].

"فالهو" الذي تمثله شخصية "ماريا كريستينا" كان يقوم بتجرّع المشروبات الكحولية دون التفكير في العواقب الناجمة عن التأثيرات السلبية التي يمكن أن تؤثر على صحته، ومن دون أخذ أي اعتبار للمحظورات الدينية، فكل همها كان التخفيف من الألم الذي تعيشه والقضاء على الحزن الذي كانت تشعر به فلم تجد حلا لحالتها إلا إرضاء رغباتها.

وفي موضع آخر تلقي "ماريا كريستينا" بنفسها إلى ارتكاب فاحشة الزنا «... أمّا أنا فأبتعد في هدوء وصمت عن الأنظار وتحت جنح الظلام أختلي بشاب يشبهني في كل شيء يفرغ كل واحد شهوته وقلقه وخوفه وحزنه وغضبه وحقده وخيبته في جسد الآخر»[2]. تلجأ "ماريا كريستينا" إلى الحياة اللاشعورية التي تحكمها الرغبات والميولات التي تؤثر في سلوك الفرد وتوجهه دون أن يعي ذلك، وهذا ما يبرر سعي "ماريا "وراء إشباع رغباتها الجنسية دون مراعاة الجانب الدّيني الذي يُحرّم وبشدة هذه الفاحشة، ففاحشة الزنا هي طريقة لسدّ الثغرة والنقص اللذين تعانيهما "ماريا كريستينا" في حياتها.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص74.

[2]- المصدر نفسه، ص75.

تُعبّر قوة الهو «عن الغاية الحقيقية في إشباع حاجاتها الفطرية ولا يمكن وصف الهو بأنّه سيهدف المحافظة على الحياة ولا اتقاء الأخطار باستخدام القلق، فتلك مهمة الأنا (...) والقوة التي نفترض وجودها وراء توترات الهو نسميها الغرائز وهي تمثل المطالب الجسدية لدى الحياة»[1].

يتجلّى مضمون القول السابق في أفعال "ماريا كريستينا" التي لا تفكر في الأخطار التي تنجم من وراء سعيها لإشباع رغباتها، إذ تقوم –"ماريا كريستينا"–بعملية الإجهاض التي تعد من المحظورات الدينية، ومن الأفعال الشنيعة أيضا التي يعاقب عليها القانون، إذ تقول: « أعرف أن الكنيسة والبابا والقساوسة يعارضون الإجهاض بشدة»[2].

لا يُفكّر "الهو" إذا في العقوبة الإلهية بقدر ما يُفكّر في أمور دنيوية تحقق له رغباته، فمنظمة "الهو" عند "ماريا كريستينا" تتصرف بعدوانية وأنانية فهي تلجأ إلى الإجهاض دون أي اعتبارات إنسانية اتجاه هذا الجنين الذي لا ذنب له.

أمّا شخصية إلزابتا فابياني" فمنظمة "الهو" جعلتها ترتكب جريمة شنيعة جرّاء الرغبات المكبوتة المتراكمة داخل منطقتها اللّاشعورية المشحونة بكل أنواع الحقد والغضب إثر فقدانها لكلبها

[1]– سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، تر: علي عبد السلام قفاش، مكتبة الأسرة، دط، 2000م، ص29.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 73.

الغالي« بعد بحث دقيق عثرنا على السكين و عليه بصماتها ودم الضحية، التحقيق انتهى و"الزابتا فابياني" هي التي قتلت "لورانزو مانفريدي" المدعو "الغلادياتور"»[1]. فبعدما تأكدت "الزابتا فابياني"*من مقتل كلبها من طرف "الغلادياتور"*لم تفكر بالعواقب، بل سعت لإشباع رغبة الانتقام المكبوتة داخلها.

نستخلص ممّا سبق أنّ المواقف التي صدرت عن الشخصيات داخل المتن الروائي من محظورات وتجاوزات أخلاقية تعود إلى منظمة "الهو" التي تنعدم فيها الذات من الوعي والمعرفة فيصبح الإنسان مجرّد حيوان مسير لجملة من الغرائز والميولات المكبوتة في اللاشعور.

2-2- 1-2- الأنا الأعلى:

يمثّل الأنا الأعلى« الجهاز الثالث الذي يبدأ تكوينه في سن مبكرة، وهو يمثل الجانب الخلقي من الشخصية والقيم والمعايير والمعتقدات التي يستخدمها الفرد في الحكم على دوافعه وسلوكه والتي يهتدي بها في تفكيره وأفعاله وكما يمثل أيضا الجانب المثالي بعكس "الأنا" الذي يلتزم بالواقع وبعكس "الهو" الذي يطلب اللذة فالأنا الأعلى هو جانب الشخصية الذي يوجه ويوقع العقاب»[2].

---

[1]- المصدر السابق، ص148.

*إليزابتا فابياني: الإيطالية المحبة للكلاب والكارهة للمهاجرين، تبدأ معاناتها عند اختفاء كلبها فالنتينو الذي كانت تحبه أكثر من ابنها، ما ولد في نفسها حب الانتقام لمقتله لتصبح مجرمة محترفة.

*الغلادياتور: اسمه الحقيقي لورانزو مانفريدي إيطالي مكروه لدى الجميع بسبب تصرفاته المخلة، اغتصب ماريا كريستينا أكثر من مرة مات مقتولا في المصعد بسبب سرقته لكلب السيدة إلزابتا التي تحولت بسببه إلى مجرمة محترفة.

[2]-.عبد الرحمن الوافي: مدخل إلى علم النفس دار هومه، الجزائر، ط4، 2009، ص209.

يمثّل الأنا الأعلى إذا مجموع القيّم الخلقية والدينية والاجتماعية وتأثير الوالدين، فهو ينشأ بفعل التربية والتنشئة، إذ يكون كقوة مضادة ومقاومة لمتطلبات الهو. ينعكس هذا الجانب من الشخصية في روايتنا من خلال السلطة التي تخضع لها "ماريا كريستينا" من طرف البوابة النابوليتانية"بندتا إسبوزيتو" « لو كنت أملك وثيقة الإقامة لما تركت البوابة النابوليتانية تسخر مني وتعيّرني كما يحلو لها (...) أنا أخاف من البوابة النابوليتانية لأنّها قد تبلغ الشرطة، أنا لا أملك وثيقة الإقامة فلو وقعت في يد قوات الأمن فإنّهم لن يرحموني»[1].

تخضع"ماريا كريستينا"إذا لسلطتين لهما تأثيرهما الواضح على حالة الخوف والهلع اللّتين كانت تعيشهما ؛سلطةالبوابة"بندتا إسبوزيتو" التي كانت تسخر منها وتعيرها بما يحلو لها خاصة وهي تعرف أنّ "ماريا" في وضع ضعف بسبب عدم امتلاكها للوثائق التي تضمن لها البقاء في بلاد المهجر، وأمآ السلطة الثانية فهي الخوف من الشرطة حين تكتشف أمرها، لأنّ نهايتها ستكون بفرض غرامة مالية باهضة الثمن، ثم إرجاعها إلى حالة البؤس والفقر اللتين كانت تعيشهما في بلدها.

هذا وقد تجسّد الأنا الأعلى في الرواية أيضا من خلال السلطة الدينية التي دفعت "إقبال أمير الله" إلى الالتزام والتشبّث بقواعد الدين الإسلامي، يقول "أمديو" على لسان "إقبال أمير الله" «فقال: لا! البنغاليون لا يرسلون زوجاتهم إلى المدارس لأنّ الإسلام يحرم علينا الاختلاط»[2].

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص70.

[2]- المصدر السابق، ص60.

فالمعتقدات التي يؤمن بها "إقبال أمير الله" والتي ترسبت في ذهنه منذ طفولته تمنعه من اختراق القواعد الدينية، فقد كانت حاجزا بينه وبين ارتكاب المحظورات ذلك أنّ «الأنا الأعلى يعد راسبا من رواسب فترة الطفولة إذ يعيش الإنسان معتمدا على والديه وبالتالي تكون منظمة الأنا الأعلى التي يتّم تنشئتها وتطويرها من العديد من المؤثرين في الوسط الاجتماعي كالمعلمين والشخصيات البارزة والهامة والتي تحظى بمكانة مرموقة في المجتمع »[1].

يعتمد الطفل على والديه ويخضع لسلطتهما، ثم تليها مختلف التأثيرات المكملة من مجتمع ودين، و قانون...، فالأنا الأعلى عبارة عن قوة منظمة تقوم على أساس الخوف والحب والطاعة والاحترام، وقد تجسد هذا الجانب النبيل في الرواية من خلال موقف "بارويز" مع "بندتا إسبوزيتو"البوابة النابوليتانية « كلما رأتني متوجها نحو المصعد تطلق العنان لحنجرتها: وايو! وايوا! من عاداتنا في إيران احترام الشيوخ والعجائز وتجنّب الألفاظ البذيئة لذلك بدل أن أرد على الإساءة بالإساءة وأنهال عليها بالشتائم كما يفعل الكثيرون، أكتفي بالرد عليها قائلا: مرسي»[2].

فذات "بارويز" تخضع لقوة "الأنا الأعلى" والمتمثلة في القيم والمبادئ التي تربى عليها والتي تقوم على احترام الأكبر سنا، لذلك حاول "بارويز" إذا أن يغضّ الطرف عن كل إساءات البوابة له.

[1]-سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، ص ص27، 28.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص ص14، 15.

هذا وقد عكس موقف "أمديو" مع زوجته "ستيفانيا مسارو"* وحبّه الشديد لها جانبا إيجابيا من جوانب الذات،والمتمثل في تقبل الآخر واحترام آرائه ومعتقداته التي يؤمن بها دون المساس بكرامته، يقول "أمديو": «ستيفانيا هي الحياة هي الحاضر والمستقبل أحب ستيفانيا لأنها متعلقة بالحياة، أعشق ذاكرتها الخالية من الكوابيس»[1].

نخلص ممّا سبق إلى أنّ الدافع الرئيسي الذي يسعى الإنسان إليه، بل ويشغل كل تفكيره هو تحقيق ذاته،لأنّ «في داخلنا نزعة مهيمنة وأنّ كل الظواهر النفسية لا تخرج عن كونها مخططات لهذا السعي الفردي صوب الوحدة وتماسك الذات»[2]، ثمة شيء في نفوسنا يعد قوة مسيطرة هدفها الأول والأخير تحقيق الذات وتماسكها.

2-2-1-3- الأنـا:

يمثّل الأنا «الجانب الواقعي للإنسان ومركز الشعور والإدراك والإرادة يتكون بالتدريج من اتصال وعلاقة الطفل بالعالم الخارجي الواقعي عن طريق حواسه وخبراته الحسية، وكذا عن طريق صلته بأمه، حيث

*ستيفانيا مسارو: زوجة أمديو الإيطالية، والتي صورت لنا صورة الغربية المثقفة التي تحمل مشاعر حب وتقبل للآخر المختلف عنها عقائديا ودينيا،.....الخ، لقد ساعدت هذه الشخصية أمديو كثيرا حتى يتخلص من حالة الضياع التي كان يشعر بها، فقد أحب اللغة الإيطالية من أجلها، بل وصار إيطاليا أصيلا من أجلها أيضا، ذلك لأنها تقبلته دون أن تعرف ماضيه ، وهذا ما جعله يتعلق بها أكثر، فاستيفانيا هي الحياة بالنسبة لأمديو.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص125.

[2]- محمّد إبراهيم عيد: الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، دط، دت، ص204.

أنّه يتعلم مع الوقت كيف أنّه لا يستطيع الظفر بكل ما يريد متى أراد وكيفما أراد، كما يتعلم بأنّ هناك أشكالا من السلوك تجلب له اللذة والسرور وأخرى تجلب له الألم والحزن»[1].

من خلال القول السابق يتضح أنّ "الأنا"ما هو إلاّ ساحة صراع بين "الهو" و "الأنا الأعلى" والشعور الواعي الذي يراقب متطلبات "الهو" و "الأنا الأعلى"، ويتصرف وفق الظروف، عن طريق محاولة إيجاد حلول تحد من الغرائز وذلك وفق ما يقتضيه المجتمع والدين والعرف، فعن طريق النضج العقلي يتمكن "الأنا" من ضبط دوافعه الفطرية.

من بين الحلول أيضا التي يلجأ إليها "الأنا" للحد من رغبات "الهو" نجد الأحلام التي تتشكل في حقيقتها من مجموعة الرغبات المكبوتة في منطقة اللاشعور، إذ تعتبر الأحلام مجالا خصبا لتفريغ الذات لنشاطاتها اللاّشعورية والمكبوتة بصورة رمزية، فالمرأة مثلا التي ترى في منامها أنّها تشتري قبعة غالية الثمن فإنّ هذا الأمر يدلّ على رغبتها اللاّشعورية في التخلّص من زوجها الكبير في السن(قبعة الحداد).

كما قد تكون الأحلام خزانا للذكريات الأليمة التي نسيها المرء والتي لا يعود لتذكرها إلاّ في شكل كوابيس ليلية، ونجد هذا الأمر مجسدا في رواية "عمارة لخوص" من خلال شخصية "أمديو" التي لا زالت الكوابيس تلاحقها وتعود بها إلى الماضي، تقول "ستيفانيا": «في إحدى المرات استيقظ من نومه مفزوعا وهو يردد بجة! بجة! كان العرق يتصبب من جبينه كأنّه فر من الجحيم»[2]، تمثل هذه الكوابيس إذًا تراكمات

[1]- عبد الرحمان الوافي: مدخل إلى علم النفس، ص208.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص122.

للذكريات الأليمة التي كانت الشخصية تحاول نسيانها، لكن الأحلام تضعها أمام الأمر الواقع وتعود بها مجددا لتذكرها.

يعمل "الأنا" على القيام بوظائف حيوية مراعيا في ذلك شرط التوازن عن طريق عدم الإفراط في الدوافع الفطرية ، حيث تلجأ"ماريا" مثلا للقيام بأشياء تشبع رغباتها وفق ما يقتضيه المجتمع والأخلاق، لتنسى ما تعيشه من ألم يعتري باطنها المثقل بالمكبوتات عن طريق الأكل ومشاهدة التلفاز، تقول: « أنا ألتهم كميات معتبرة من الشوكولاطة يوميا كما ترون أنا سمينة جدا أريد أن أخفض وزني ولكن الظروف الحالية لا تساعدني»[1]، فالأنا الخاص "بماريا كريستينا" يحاول الحد من وحدتها عن طريق التهام كميات معتبرة من الأكل، وهذا الأمر لا يخرج عما يسمح به القانون والدين والمجتمع.كما تقول:«التلفزيون هو الصديق والأخ والزوج والابن والأم ومريم العذراء، التلفزيون كالهواء تماما، هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا هواء؟»[2].

ف"الأنا" يتوسط "الهو" والعالم الخارجي، عن طريق اللجوء إلى الوسيلة التي تعمل على تحقيق المساواة بين الجسم والعقل إذ تتحقق الرغبات بما تؤديه الدوافع من وظيفة حيوية هامة للإنسان بشرط ضبطها وتوازنها، فالدوافع الفطرية من أكل وشرب وجنس وخلافه لا يستنفرها الدين ولا يحطمن شأنها وإنّما ينظمها بحيث يتّم إشباعها بالطرق المشروعة وبدون إسراف.

[1]- المصدر السابق، ص77.

[2]- المصدر نفسه، ص79.

وفي موضع آخر نجد "ماريا كريستينا" تقوم بإشباع رغباتها بتذكر بيتها القديم وماضيها وبلدها وكل هذا يشعرها بالسعادة والاطمئنان « أذهب رأسا إلى المحطة فأرى وجوها تشبع عطش عيني، وأسمع كل ما يدفئ أذني الباردة أشعر كأنني عدت إلى بيتنا في ليما»[1]، وهنا يتجلّى لنا بوضوح دور ووظيفة "الأنا" في حفظ الذات بطرق مشروعة وواعية.

أمّا شخصية "أمديو" فقد كانت تخفّف من ألم ماضيها بطريقة مغايرة ومنطقية في الوقت ذاته، فقد حاولت اكتساب لغة جديدة مخالفة للغته الأم، يقول "أمديو"« أنا رضيع أحتاج يوميا إلى الحليب اللغة الإيطالية هي الحليب اليومي»[2]. يعمل "أمديو" على الحد من ذكرياته الأليمة وفقا لما يقتضيه المنطق عن طريق تعلم لغة جديدة هي "اللغة الإيطالية".

كما كانت تلجأ شخصية "أمديو" إلى طريقة أخرى للتخلص من ذكرياتها السيئة، فعزاؤه الوحيد هو العواء« آه يا جري المفتوح الذي لا يندمل أبدا! لا عزاء لي إلا العواء أوووووووووو»[3]، يتخذ "أمديو" من سياسة العواء منهجا له في التعبير عن ما يجيش به صدره من آلام، راغبا في التخلص من ذاكرته المثقلة بالذكريات المؤلمة، لقد كان العواء الطريقة الوحيدة التي تراعي الجانب الأخلاقي والديني حتى لو كان على حساب نفسية الشخصية.

[1]- المصدر السابق،ص 74.

[2]- المصدر نفسه، ص125.

[3]- المصدر نفسه، ص127.

وفي مقابل شخصية "أمديو" نجد شخصية "بارويز" التي ترى أنّ المطبخ بنكهاته وتفاصيله هو المكان الوحيد الذي يحد من شوقه لعائلته وحنينه لوطنه « إنه المكان الوحيد الذي يدخل الاطمئنان إلى قلبي المجروح عندما أتذكر أطفالي الصغار شادي وسعيد وصهراب وعمرو زينب أحزن كثيرا»[1]، كان "بارويز"يحد من تلك الرغبات الدفينة عن طريق ممارسة أحد هواياته ألا وهي الطبخ وذلك حفاظا على ذاته من الانزلاق إلى أمور مُخلّة، إذ فضل القيام بأفعال في الإطار المسموح به.

نخلص في الأخير إلى أنّ المكبوتات الغريزية والدوافع الانفعالية وكل ما يتعلّق بمبدأ "اللذة" أو بما يسميه "فرويد" "باللّيبيدو"، لا تهتم بالقيم والأخلاق، وهذا ما يؤثر سلبا على حياة الفرد ويكون عائقا أمام تكيفه ووعيه بالعالم الخارجي لهذا يجب أن يخضع الأمر للعقل والوعي معا، كما أنّ التقسيمات الثلاثة التي جاء بها "سيغموند فرويد" هي التي تنظم الحياة النفسية للذات، فإذا كان الهو مجموعة الرغبات والغرائز التي يقودها مبدأ اللّذة، فإنّ الأنا الأعلى يحاول إشباع هذه الرغبات في ضوء احترام قواعد المجتمع والدين والعرف، في حين يمثّل الأنا مجموع القيم العليا التي على ضوئها يتحدّد الصواب من الخطأ.

2-3- مفهوم مصطلح الذات عند علماء الأخلاق:

يرتكز مفهوم الذات عند علماء الأخلاق على وعي الإنسان كفرد ووعيه ضمن جماعة أفراد، ومنه مراقبة الذات وتربيتها إذ ترتبط الذات ارتباطا وثيقا بالقيم الأخلاقية داخل المجتمع من كرامة وشرف وقناعة،

[1]- المصدر السابق، ص16.

إضافة إلى الضمير الذي يُعدّ بمثابة الوعي الباطني الذي يوجه سلوك الفرد[1]، يحصر علماء الأخلاق مصطلح الذات في وعي الإنسان الذي يرتبط بالقيم الأخلاقية،كالصّدق والأمانة، والتسامح والتعاون...إلخ،إضافة إلى الضمير الذي يقوم بتوجيه سلوكات الفرد والتحكم بها، كما تظهر الذات " أخلاقيا" جلية في مواضيع كثيرة في رواية " عمارة لخوص " فمنها ما يرتبط بالتعاون، وأخرى تتعلق بمشاعر العطف والحنين وكذا في صحوة الضمير.

يتجسّد التعاون في الرواية من خلال شخصية "أمديو" ذلك الرجل الخيّر الذي كان يساعد الجميع بتوجيهاته ونصائحه، إذ كان يتصف بنبل أخلاقه، وقد انعكست في الرواية في مواقف عديدة يقول بارويز:«عندما أطرد من العمل أجد نفسي كالغريق وحده "أمديو" الذي كان يمد لي يد المساعدة »[2]، حيث يملك "أمديو" مشاعر الأم التي تستطيع احتواء كل أولادها؛ تعطف عليهم وتتشارك كل همومهم، وأكبر دليل على ذلك مساعدته لصديقه "بارويز" الذي كان يطرد دائما من عمله لعدم إتقانه اللغة الإيطالية فقد كان "أمديو" لسان "بارويز"، إذ كان يتكلم نيابة عنه للحصول على عمله يقول "بارويز": «نذهب سويا للقاء أصحاب المطاعم، كان أمديو يتكلم نيابة عني، كم كان مقنعا ورائعا في آن واحد، غالبا ما كنت أبدأ العمل في نفس اليوم كمساعد طباخ قبل أن أرمى لغسل الصحون في الأيام التالية»[3].

---

[1]- حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية الطاهر وطار أنموذجا (مقاربة سوسيو-ثقافية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت، ص ص22، 23.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص ص19,18 .

[3]- المصدر نفسه، ص19.

ومن المواقف التي تبرز مدى إنسانية "أمديو" نذكر موقفه مع "إقبال أمير الله" الذي كان يجد صعوبة كبيرة في إنجاز إحدى المعاملات الإدارية المتعلقة بتصحيح خطأ حصل بين اسمه ولقبه، حيث فشلت كلّ محاولاته لتصحيحها في إحدى مراكز الشرطة، إلى أن رافقه "أمديو" في مرة من المرات . يقول "أمديو":« هذا الصباح رافقت إقبال إلى قسم الشرطة، لقد تمكّن باتريني من حل المشكلة في دقائق معدودة، كم كانت فرحة إقبال كبيرة»[1].

وكم كانت فرحة "أمديو" أكبر عندما يرى الفرحة على وجوه الناس، فقد كان السند والعون للكثير من الشخصيات تقول " ماريا كريستينا"«عندما أتزوج وأنجب ولدا سأسميه "أمديو" (...) السيد "أمديو" هو الوحيد هو الذي يعطف علي ويقف إلى جانبي في أوقات المحن»[2]، فعزاء "ماريا" الوحيد في غربتها ومحنتها هو "أمديو"، فقد عوّضها حنان الأب الذي يقف بجانب أولاده في أصعب أوقات حياتهم ويغض الطرف عن الكثير من أخطائهم، ويسامحهم على كل ما يمكن أن يرتكبوه من حماقات، إذ نجد أنّ "أمديو" كان مصدر قوة للكثيرين « السيد أمديو طيب كعصير المانجو، كان لا يتأخر عن مساعدتنا في كتابة الشكاوي وإعطائنا النصائح اللازمة لمواجهة العراقيل البيروقراطية»[3]، ومن خلال هذا المقطع نجد أنّ هدف "أمديو" لا يكمن فقط في مساعدة الناس والعطف عليهم، بل يتعدّاه لنشر الوعي والمعرفة من خلال إعطائهم النصائح الضرورية لمواجهة بعض المعاملات القانونية أيضا.

[1]- المصدر السابق، ص58.

[2]- المصدر نفسه، ص73.

[3]- المصدر نفسه، ص52.

نجد أنّ شخصية "أمديو" في رواية "عمارة لخوص" عكست وبقوة صورة "المثقف الشمولي" الذي تحدث عنه "ميشال فوكو" هذا الأخير « الذي يتكلم باسم الإنسانية والحقيقة والمستقبل، فهو حامل راية الحق، وبشارة الغد المشرق»[1].

فالمثقف الشمولي حسب هذا التعريف هو الوحيد الذي يستطيع أن يواجه النظرة القمعية التي تتبناها السلطات الظالمة وغالبا ما يسعى «إلى التغيير ولكنه يفضل أن يكون متمركزا على هامشها»[2]، يمكن أن نلحظ هذا الأمر من خلال شخصية "أمديو" إذ كان يدعوا إلى التغيير بطريقة غير مباشرة، وذلك بمواعظه وإرشاداته وتوجيهاته، إذ كان يوعي الناس دون أن يدخل في صراع مع السلطات فقد فضل أن يكون «خارج اللعبة»[3]على حد تعبير "ميشال فوكو".

2-4- مفهوم المصطلح عند علماء السياسة:

إنّ المرونة التي يمتاز بها مصطلح الذات جعلته محل اهتمام علماء السياسة، الذين نظروا إليه من زاوية مغايرة لسابقهم إذ «يكتسب الفرد معلومات ومشاعر ومعتقدات تساعده على الارتباط بالبيئة

[1]- عبد العزيز العبادي: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1994م، ص23.

[2]- المرجع نفسه، ص 23.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

السياسية المحيطة به، ويشير مفهوم الذات السياسية إلى المجموع الكلي للتوجهات الفردية المتعلقة بالبيئة السياسية، بما في ذلك وجهة نظر الفرد اتجاه دوره السياسي»[1].

نفهم من هذا القول أنّ الذات السياسية تتمثل في مجموع توجهات الفرد السياسية، من مشاعر ومعتقدات ومعلومات تنشأ عن طريق علاقته بالبيئة الاجتماعية والسياسية المحيطة به، والتي تساعده على فهم البيئة التي ينتمي إليها من جهة، والتأقلم معها من جهة أخرى.

إنّ الواقع المرير الذي عاشته العديد من شخصيات الرواية يعود أساسا لعدم امتلاكها لوثائق الإقامة وهي بذلك أصدق وأقرب تمثيل للذات السياسية وارتباطها الضعيف بالرموز السياسية ،يقول "بارويز": « لا أزال أذكر ذلك اليوم المشؤوم. عندما ذهبت إلى مركز الشرطة بشارع جنوفا لاستلام جواب اللجنة العليا للاجئين ،صدمت بكلمات مفتشة الشرطة: "طلبك مرفوض" وما عليك إلاّ "الاستئناف"»[2].فمن خلال موقف "بارويز" مع الشرطة الإيطالية والتي استقبلت طلبه بالرفض .اكتسبت الذات نظرة سلبية عن البيئة السياسية في روما، التي لا تمنح الشخص حقوقه بالرغم من أنّه لاجئ وليس مهاجر« كيف أتخلى عن أطفالي وزوجتي في شيراز إذا لم يكن السبب هو الهروب من الموت أنا لاجئ ولست مهاجر»[3].

[1]- ريتشارد داوسن، كنيت برويت، كارن داوسن: التنشئة السياسية ، دراسة تحليلية ، ص62.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص20.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لقد حُرم "بارويز" من أبسط ضمانات الحكومة (وثيقة الإقامة)، وبالتالي فارتباطه بالبيئة السياسية ضعيف جدا «إذ يمكن تحديد الذات السياسية في مجموعة من الخصائص والأبعاد. كأن تتضمن كمية كبيرة أو قليلة من المعلومات من البيئة السياسية وهي تتضمن وجهات نظر إيجابية أو سلبية أو محايدة، الارتباط بالرموز السياسية يتراوح بين الارتباط القوي والارتباط الضعيف جدا»[1].فضعف ارتباط "بارويز" بالحكومة الإيطالية التي تمثل رمزا من رموز السياسة، جعله ضعيف الارتباط بحياته ومصيره «أنا لا أثق كثيرا في الشرطة الإيطالية، كم مرة اقتادوني إلى مركز الشرطة لاستجوابي كأني مجرم»[2].

إنّ معاناة "بارويز" لم تتوقف عند هذا الحد، فقد استمرت من خلال السيطرة والهيمنة التي كانت تمارسها السلطة الإيطالية في حقه من خلال منعه وحرمانه من ممارسة أبسط الأمور، حيث كان يتردد يوميا على ساحة "سانتا ماريا"لإطعام الحمام، هذا الأخير الذي يرى فيه فسحة أمل تشفي غليله وتجعله يتمسك أكثر بالحياة، لكنّه لقي من السلطات الإيطالية ما لا يحمد عقباه « حاولت الشرطة مرارا منعي من الاقتراب من الحمام، قلت لهم: " أي قانون يمنع إعطاء الأكل للحمام " (...) لقد عاملوني معاملة سيئة دون أن أقترف أي ذنب»[3].فالحمام هو رمز السلام والأمل الذي يزرع في النفس مشاعر إنسانية نبيلة، فما أبشع القرارات التي تتخذها السلطات الأوروبية!، والتي تصل إلى حد التحكم والسيطرة على المشاعر

[1]– ريتشارد داوسن، كينيت برويت، كارن داوسن: التنشئة السياسية، دراسة تحليلية ، ص63.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 24.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والأحاسيس ومحاولة تكبيلها، الأمر الذي دفع "بارويز" إلى تبني موقف سلبي اتجاه السلطات الإيطالية تحديدا.

هذا وقد نجد نظرة "بارويز" السلبية للسلطة الإيطالية تتقاطع مع شخصيات أخرى، من مثل شخصية "ماريا كريستينا" التي كانت تعاني من عدم القدرة على تأمين وثيقة إقامة، وهذا ما انعكس سلبا على ارتباطها بالمؤسسات السياسية الإيطالية، وذلك أنّ « توقعات الأفراد من الخدمات والحماية والضمانات، التي توفرها الحكومة قد تكون توقعات عالية جدا، أو منخفضة جدا إلى درجة الانعدام»[1]، فانعدام ثقة "ماريا" اتجاه المؤسسات الإيطالية ولد في داخلها أسوء التوقعات، التي يمكن أن تصيبها في بلد الغربة « لا أملك وثيقة إقامة فلو وقعت في يد قوات الأمن فإنهم لن يرحموني. في رمش العين أجد نفسي في مطار ليما. سأعود إلى جحيم الفقر»[2].

وفي الأخير نخلص إلى أنّ المواقف التي تطرقنا إليها في هذا الجانب تعكس وبقوة الهيمنة التي تمارسها السلطات الإيطالية في حق المهاجرين متخذة من سياسة الخادم والعبد مبدءاً لها.

[1]- ريتشارد داوسن، كينيت برويت، كارن داوسن: التنشئة السياسية، دراسة تحليلية، ص63.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص76.

2-5- مفهوم مصطلح الذات عند علماء الفلسفة:

تُعدّ الفلسفة من بين العلوم التي اهتمت بموضوع الذات، وجعلته موضوعا مهما من مواضيع بحثها لذلك انطلقت من ماهية الذات وكل ما يحيط بالإنسان من مجتمع وعالم خارجي، هذا الأخير الذي بإمكانه التأثير على ذاته، فقد خاض البحث في هذا الموضوع كلا من "نيتشه"و"هيدجر"،... وغيرهم.

انطلق بحث الفلاسفة عن الإنسان والذات من الوجود ؛ وجود الإنسان وكل ما يربطه بالعالم الخارجي والظروف المحيطة به، فالمجتمع مثلا الذي يعيش في كنفه يمكن له التأثير على ذاته. والبحث عن وجود الإنسان يقتضي التركيز على الإنسان نفسه باعتباره نقطة انطلاق البحث في الوجود، والإنسان على حسب الفلاسفة مختلف عن باقي الأشياء المتميزة بالجماد والثبات ؛ فالإنسان بإمكانه التغير من شخص إلى آخر وهذا ما يجعله يثبت ذاته بالقول "أنا"فالأنا لها أن تتجدد باستمرار[1].

ينطلق الفيلسوف في بحثه إذا من الوجود والكشف عن ماهية الإنسان وكل ما يتعلق به كما يؤثر عليه، وعلى تكوين ذاته ؛ فالإنسان إذا هو مركز اهتمام الفلاسفة في البحث عن الذات. هذا ويوضح "نيتشه" : «أنّ الأنا بوصفه شعورا بالذات يقتضي التغيير، فعلى الفرد القيام بأفعال تجعل منه شخصا آخر، وبذلك يخرج عن التكوين الجسمي الذي يجعل منه مقيدا لا يستطيع التحرر من مختلف السلطات. وبذلك

[1]- حكيم أومقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية (الطاهر وطار)، مقاربة سوسيو-ثقافية، ص ص26,25

تتغير أحواله وتتحقق ذاته من خلال أفكار وأفعال خاصة به، إذ تصبح الأفكار أفكاره والأفعال أفعاله، فالحرية هي التي تحقق ذات متغيرة باستمرار»[1].

وبالتالي نجد أنّ الحرية شرط أساسي من شروط تحقيق الذات، إذ لا بُدّ من التحرر من كل القيود السلطوية التي تحدّ من حريتها، فالحرية تمنح "أنا" خاصة للفرد وبذلك يختار نفسه في وجوده، فالإنسان كما ذكرنا سابقا هو مركز اهتمام الفلاسفة، وهذا ما أشار إليه الفيلسوف "هيدجر" « الوجود في كل مكان، وجود الإنسان ووجودنا نحن هو الذي ينبغي أن نبدأ البحث به »[2].فلمعرفة الوجود لا بُدّ من معرفة ماهية الإنسان وما يحيط به من مؤثرات خارجية، وهذا ما يتجسّد في بعض مواضع من رواية "عمارة لخوص " نذكر منها على سبيل التمثيل قول "ستيفانيا": « أعرف أن أمديو يتقن الإيطالية أحسن من الإيطاليين، الفضل يرجع إلى إرادته وفضوله، لم ألعب دورا كبيرا في هذه المعجزة التي تنسب إلي عادة، أمديو عصامي، يكفي أن تعرفوا أنه كان يسمي قاموس زينغا ريلي بالمرضعة! كان بالفعل كالرضيع الذي يتغذى من حليب أمه عدة مرات في اليوم»[3].

فقد استطاع "أمديو" إثبات ذاته داخل المجتمع الإيطالي بجهده الخاص دون الاتكال على أحد، فقد تعلم اللغة الإيطالية واكتشف سر خفاياها، وهذا ما جعل منه شخصا مختلفا له ذات مختلفة تميزه عن غيره، وجعله حرا بأفعاله وأقواله وكذا أفكاره.

---

[1]- المرجع السابق، ص25.

[2]- المرجع نفسه، ص26.

[3]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص119.

يُصرّح "ديكارت" «أنّ النفس موجودة، ويمكن الشعور بها وإدراكها بغض النظر عما يحيط بها، وبالتالي عبر ذلك عن استقلالية الذات، كما يمكن للذات أن تتأثّر بالبيئة المحيطة بها مثل العرق والجنس والعلاقات الاجتماعية، كما تتأثر أيضا بالتربية والتعليم والتاريخ والعلاقات العاطفية»[1]، فالذات مستقلة بذاتها ويمكن للفرد الظفر بها، لكن هذا لا يعني أنّها ثابتة، فالذات متغيرة باستمرار بحسب ما يحيط بها من مختلف المؤثرات الخارجية، كالعرق والدين والمجتمع والبيئة وغيرها، فالإنسان عاطفي بطبعه ويمكن له التأثر بكل ما يحيط به. ومن الأقوال المعبرة عن هذا في الرواية نجد: قول "ستيفانيا مسارو" عن زوجها "أمديو": « لقد ضحى أمديو بكل شيء من أجلي، إذ تنازله عن وطنه ولغته وثقافته واسمه وذاكرته. أراد أمديو إسعادي بأي ثمن. تعلّم الإيطالية من أجلي، وأحب الطبخ الإيطالي من أجلي، وسمى نفسه أمديو من أجلي، باختصار صار إيطاليا لإسعادي»[2]، فالفرد بطبعه عاطفي ويمكن لكل ما يحيط به التأثير عليه ف"أمديو" صار شخصا آخر بسبب حبه لزوجته التي عشقها بجنون حتى تخلى عن كل ما يخصّ ذاته من أجل أن تكون معه.

تقوم الفلسفة على الخيال فهي« ليست فرعا علميا من بين فروع أخرى ولا فرعا رئيسيا، بل هي الخيال في حالة حرب سيكتشف ما لا يسمع الطرق والخطابات الراسخة بالتفكير فيه لا بقوله»[3]، تهتم الفلسفة إذا بالخيال على حساب الواقع باعتبار هذا الأخير زائف ومشوه، ففي نظرها الخيال مرآة عاكسة

[1]- صهيب شبيلي الفزاعلة، بحث عن مفهوم الذات ، آخر تحديث11 فبراير،التوقيت 45 :13.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص117.

[3]- روبرتو مانغاييز أونغر: يقظة الذات، براغماتية بلا قيود، عالم المعرفة، دط ،جمادى الأولى 1431هـ ، مايو2010، ص267.

للواقع الحقيقي للذات على غرار الواقع، فالخيال يدفع الفرد للإبحار في أفكار جديدة قد تجعل منه شخصا آخر ولعلّ من أهم المقاطع التي تجسّد فيها الخيال في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" موقف "يوهان فان مارتن"* الذي حاول إثبات ذاته من خلال خياله المبدع والواسع.

فكّرت شخصية "يوهان" في إنجاز فيلم بعنوان "صدام الحضارات" حول مصعد في ساحة "فيتوريو" إذ يقول "أمديو" على لسان الشخصية: «سيكون الفيلم ناجحا على كل المستويات. سأعتمد على تقنيات المسرح كوحدة المكان المتمثل في مدخل العمارة المقابل للمصعد وسأقنع سكان العمارة بتقمص الأدوار كما هو الأمر مع الأفلام الواقعية الجديدة، ستصبح "بندتا" الممثلة المشهورة آنا مانياني»[1]، يمتلك "يوهان فان مارتن" إذا خيالا واسعا يتعدى حدود الحلم، فقد حدد كل التقنيات المعتمدة في فيلمه بما في ذلك الشخصيات التي كانت لها ملامح معينة تتناسب وأدوارها، وبهذا استطاع التميز عن غيره بخياله الواسع الذي لا تحدّه حدود.

لقد صبّ الفلاسفة اهتمامهم في البحث عن الذات عن وجود الإنسان، هذا الأخير صار بإمكانه إثبات ذاته عن طريق التحرر من كل المؤثرات الخارجية، وبالتالي سيصبح من دون أدنى شك شخصا آخر.

* يوهان فان مارتن الهولندي :يدرس السينما الإيطالية،ومعجب بواقعيتها .فرغم أنه لا يعرف إلاّ القليل عن اللغة الإيطالية إلا أنه يحلم بإنجاز فيلمه الأول حول العمارة التي يقطن بها جاعلا من سكانها أبطالا لفيلمه .

[1]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص103.

ثانيا: ملامح حضور الذات في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"

1- ملامح حضور الذات في عتبة العنوان:

لقد احتّل موضوع العتبات النصية جزء كبير من الاهتمام في الدراسات الحديثة، ولاسيما في الدراسات السيميائية، إذ لا يمكن عزل النص وقراءته بعيدا عن العتبات المشكلة له. ويعد "جيرارجينيت" من أهم الذين اهتموا بالعتبات النصية، هذه الأخيرة التي تمكّننا في نظره من كشف أغوار النص والغوص في أعماقه «حيث أنّ العتبات لم تثير الاهتمام قبل توسع النص ولم توسع مفهوم النص إلا بعد أن يتم الوعي والتقدم في التعرف على مختلف جزئياته وتفاصيله»[1].

كما يرى "جيرار جينيت" أنّ خصوصية النص الأدبي لا تكون بمعزل عن تفاصيله الدقيقة -كالصورة والإهداء والمقدمة والغلاف وغيرها-، ولقد سلطنا الضوء في هذا الجزء على أهم العتبات النصية، التي تمكننا من استنطاق جوانب خفية مضمرة داخل المتن الروائي، إذ يعد العنوان أولى العتبات النّصية التي تستدعي من القارئ الوقوف عندها فهو« لا يتم عفو الخاطر، إنما هو مسألة أصبحت تحتاج من الروائي نظر دقيق، وتأمل طويل قبل أن يغامر ويطرح مولوده الجديد أمام الملأ»[2].

---

[1]- عبد الحق بلعابد: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص14.

[2]- عبد المالك أشهبون: العنوان في الرواية العربية، منشورات النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ومحاكاة للدراسة والنشر والتوزيع سورية، دمشق، ط1، 2011، ص45.

يستغرق اختيار عنوان الرواية وقتا أطول –في أحيان كثيرة – من كتابة الرواية نفسها، وخاصة وأنّ لهذا العنصر دور مهم في الكشف عن مضامين النصوص «من حيث أنه يفتح الدلالة على وسعها ويبعدها عن الانغلاق، بل ويدفع القارئ إلى اختيار أسئلته وتأويلاته من عمق النص ذاته من خلال التفاصيل والوقائع، والتاريخ والمتخيل الذي ينجزه بصبر وأناة»[1].

يلاحظ القارئ لعنوان رواية "عمارة لخوص" أنّه جاء مختلفا عن طبيعة العناوين التي تعودنا عليها في عناوين الروايات الجزائرية عموما، من حيث أنّ العنوان نفسه جاء مبنيا على الاستفهام من خلال استخدام الأداة "كيف" التي تجسد من خلال سياقها الصفة "الحالية"أو "الحال"، ولكن المؤلف يخرج العنوان إلى أبعاد دلالية مختلفة، حيث« يخرج العنوان في صيغته التركيبية من دلالة الاستفهام عن الطريقة التي تمكّن القارئ من رضاعة حليب الذئبة دون أن يعاني من شرها، إلى دلالة تقديم تلك الطريقة وتقرير معرفة الروائي لها؛حيث تخرج وظيفة اسم الاستفهام"كيف" إلى الدلالة على الحال، ومن ثمة ينهض الروائي بدور المعلم العارف الذي يقدم السبل التي من شأنها تحقيق المستحيل»[2].

لا يوضع العنوان اعتباطيا، فلكلّ عنوان معنى ودلالة خاصة به، إذ نلمح براعة ودهاء الكاتب في حسن اختيار الكلمات المناسبة لتشكيل العنوان الموسوم ب"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"،والذي يحمل في حد ذاته استفزازا ومراوغة واضحتين لقارئه، وذلك عن طريق انزياح الكاتب في

[1]–المرجع السابق،ص46.

[2]– زهيرة بولفوس: سيميائية العتبات في رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص، مقال ضمن مجلة العلوم الإنسانية، مجلة علمية أكاديمية محكمة و مفهرسة نصف سنوية تصدر عن جامعة قسنطينة1، عدد 46 ديسمبر 2016، ص 148.

صياغته وإعطائه بعدا مجازيا، من خلال توظيف لفظة "ترضع" فالرضاعة جزء أساسي في تنشئة الذات، إذ نلاحظ حضور الذات منذ قراءة أول كلمة في العنوان [ترضع] وهذا يتجلى في عدة مقاطع من الرواية «ما يهمني حقا هو أن أرضع من الذئبة دون أن تعضني»[1]، فإذا رجعنا إلى لفظة [ترضع] في معناها الحقيقي وجدناها ترتبط بالتعلق «فهي الفعل الذي يجسد ارتباط الرضيع بأمه، وهي الفعل الذي يضمن استمراريته»[2]، ولكن الكاتب لا يستخدمها بمعناها الحقيقي فلفظة "الرضاعة" كناية عن وعي الذات لذاتها، ومدى قدرتها على الحفاظ على انتمائها وشخصيتها ومقوماتها الذاتية، وما مدى تأثرها بالآخر المغاير والمختلف عنها كلية .

كما جاء الفعل المضارع "ترضع" تأكيدا على الذاتية أو الانتماء الشديد لمقومات"الذات" وكينونتها، وهنا نشير إلى"بطل الرواية"وعلاقته بذاته والتي تجلت بالسلب من خلال رضوخه ولجوئه للآخر،فقد يكون اعتماد الكاتب للفعل المضارع، في العنوان مقصودا أراد من خلاله أن يبين لنا حالة "أمديو" الذي يأبى العودة إلى الماضي ويأمل في الولادة من جديد في الزمن الحاضر، وسط حالة الاستنفار الشديد من خلال رفض ماضيه.

أمّا عن لفظة "تعضك" فقد جاءت في الزمن الحاضر لتحمل في طياتها الكثير من المعاني والتي من بينها كيفية تعايش الذات مع الآخر، والتي يمكن فهمها من منظورين اثنين:

---

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص94.

[2]- زهيرة بولفوس: سيميائية العتبات في رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص، ص148.

أمّا المنظور الأول: فهو منظور إيجابي يبين لنا كيفية التعايش مع الآخر،و محاولة الاندماج معه وذلك من خلال تبادل الثقافات والانفتاح على الآخر، والتحرر من القيود السلبية، التي تؤدي إلى الانغلاق على الذات، وكل هذا في إطار القدرة على معايشة الآخر المغاير من دون التخلي عن المبادئ والقيم التي ترتكز عليها الذات من لغة، عقيدة،دين،...غيرها.

أمّا المنظور الثاني: فيدعوا إلى نسيان الذات الحقيقية والبحث عن ذات أخرى مغايرة عن طريق الذوبان والانصهار في الآخر، أو بالأحرى نسيان المبادئ والقواعد المنتسبة للذات، والتي سببها ضعف الإرادة والإيمان والشخصية.

ومن خلال تعمقنا أكثر في العنوان نجد أنّ الكاتب لا يملك إجابة محددة لهذا الطرح، فقد أعطى الفرصة للمتلقي وترك المجال مفتوحا أمام القارئ للتعبير عن الحياة التي يكون عليها الشخص المنفتح على الآخر بشقيه الإيجابي أو السلبي، سواء كان غالبا أو مغلوبا إذ نجد بطل الرواية "أمديو"في حد ذاته يتساءل :«السؤال الجوهري هو كيف أرضع من الذئبة دون أن تعضني؟»[1].

2- ملامح حضور الذات بين الولادة وشهوة الحضور:

تدخل الذات في رحلة بحث لاستكشاف الآخر، هذا الأخير الذي سيحرّرها من القيود التي تكبله، فتصمم – الذات–على نسيان الماضي بحذافيره رغبة منها في الولادة من جديد.يأخذ الآخر في هذه

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص115.

الحالة دور المنقذ الذي يبشر بولادة "فجر جديد"على حدّ تعبير"نيتشه"، فالآخر وحده من يستطيع أن يخلص هذه الذات من سلطة الذاكرة، لأن الذات في هذه الحالة تنادي "بموت الذاكرة " وكل ما يتعلق بالماضي نتيجة لما تعيشه في حياتها الباطنية.

نمثّل لهذه الذات من الرواية بشخصية "أمديو"، فهو الرجل الضال الذي يبحث عن شخص آخر أو بالأحرى عن منقذ يساعده على نسيان الماضي المر والمرفوض من قبل ذاته، فالنّسيان سيحييه من جديد.إنّ وجود "ستيفانيا" في حياة "أمديو" وقبوله لها كآخر مغاير له، ومختلف تماما عنه هو الذي أعاده مجددا للحياة، فهي مأواه الروحي الذي يلقي فيه كل مآسيه وهمومه، إذ يقول "أمديو" مستنجدا بحبيبته "ستفانيا": «حبيبتي، ذاكرتي كالمصعد المعطل، بل الماضي كالبركان النائم، ساعديني على تجنب إيقاظه الفظيع وحممه الجهنمية»[1].

يُصوّر لنا موقف "أمديو" مع زوجته الإيطالية "نموذجا رائعا يدعوا إلى التعايش والتسامح مع الآخر الغربي، فقد لجأ "أمديو" إلى الأنثى الغربية التي خلصته من الفراغ والنّقص الذي كان يعتريه، فهروب "أمديو" من ماضيه وذكرياته هو الذي سيساعده على تحقيق ذاته والولادة من جديد، أي الولادة من دون ماضي وذكريات مؤلمة ومأساوية، فتعود الذات إلى الطبيعة الأولى أو حياة الولادة، وذلك من خلال تجرّدها—شخصية"أمديو"– من الشعور الذي يمثل الحياة النفسية الباطنية.

[1]–المصدر السابق، ص120.

يظهر الآخر –الأنثى الغربية– في رواية "عمارة لخوص" بصورة إيجابية فمن خلال شخصية "ستيفانيا" يظهر الوجه الآخر للغربي، هذه المرأة التي استطاعت أن تتحمل "أمديو" في كل حالاته، وتقبلته دون رغبة في معرفة ماضيه الدفين، يقول أمديو:«ستيفانيا هي الحياة أي الحاضر والمستقبل، أحب ستيفانيا لأنّها متعلقة بالحياة، أعشق ذاكرتها الخالية من الكوابيس»[1]، وربّما الشيء الذي يجمع "ستيفانيا" و"أمديو" هو تجردهما من الذاكرة فهمهما الوحيد هو المستقبل فقط.

هذا وقد كانت للمكبوتات النفسية التي تجيش في صدر "أمديو" تأثيرها السلبي في لجوئه إلى اللاّشعور أو اللاّوعي، فهو يعاني من عسر تذكّر أقرب الناس إليه، يقول أحد المهاجرين الجزائريين واصفا موقفه مع "أمديو" «لم يكن متحمسا لمعرفة أخبار الجزائر، صرت لا أفاتحه في مواضيع تخص الجزائر»[2] وهذا يبيّن لنا عدم وعي الذات لذاتها، من هي؟ ومن أين أتت؟ يقول "أمديو": عندما ناداني أحمد! لم أتعرف عليه في الحين؟ أحسست بيد تحط على كتفي، تذكرته بمشقة. قال لي: «أنا عبد الله ابن حومتك! صديق أخيك فريد." تذكرت بصعوبة الحومة وأخي فريد والجزائر»[3].

[1]– المصدر السابق، ص137.

[2]– المصدر نفسه، ص132.

[3]– المصدر نفسه، ص137.

رُغم مقولة إلياس كانيتي: «ما من شيء يخيف الإنسان أكثر من لمسة المجهول»[1]، والتي تشير إلى أنّه هناك دائما تخوف وحيطة من الآخر خوفا من أن يلحق الضرر بنا، إلاّ أنّ "أمديو" لم يكن يعتريه هذا الخوف، فقد سلّم نفسه للآخر بكل طمأنينة وربما يعود ذلك لإحساسه بأنّ ما عاشه في ماضيه لا يقلّ ضررا مما يمكن أن يلحقه الآخر به.

إنّ الآخر المغاير والمناقض للذات في كل شيء؛ في المعتقدات في الآراء، العادات، التقاليد والثقافة...إلخ ، قد يكون «ليس آخر خيّرا، بل ينطوي على عداء يدمر إنسانيتنا»[2]، ونفهم من هذا القول أنّ الآخر قد يشكل خطرا على ثقافة الأنا وانتمائه وهويته، وقد يتعدّى هذا ليصل إلى حد القضاء على المبادئ والأخلاق التي تُبنى عليها الذات الإنسانية نفسها.

فإذا نظرنا إلى الآخر من زاوية أخرى نجد أنّه يعترينا دائما إحساس عميق بأنّنا نحتاج إليه «إذ لا يكون عالم لا يشوبه اختلاف، وعالم لا تسود فيه المشابهة مع الذات عالما لا يطاق، فالآخر ضروري للتعبير والإبداع من أجل الوجود في العالم»[3].

وهذا ما يجعل الذات أحيانا تشعر بشهوة الحضور، من أجل إثبات الذات، والتي تكون عن طريق الانفتاح على الآخر وعدم الانطواء على الذات إذ «يتمثل حضور الذات في احتلال مكان داخل الجماعة

[1]- طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، دار المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، ط1، أيلول سبتمبر 2010، ص41.

[2]- سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل الناقد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2002، ص22.

[3]- المرجع نفسه، ص42.

بوصفها سلطة تعترف بها، فالحضور حضور في بنية اجتماعية صغرت أو كبرت»[1]، إذ تلعب إرادة الذات وقوتها دورا مهما في تحقيق هذا الحضور، ويمكن أن نمثل لهذه المسألة من الرواية بشخصية "أمديو" التي كانت مواظبة على تعلم اللغة الإيطالية، حيث جسدت وبقوة صورة التلميذ المجتهد الذي يلتزم بدروسه مهما كانت الظروف، وكل هذا ليثبت حضوره في نظر الآخر إذ تقول "ستيفانيا": «طوال سنوات تدريسي الإيطالية للأجانب ،لم أجد تلميذا نجيبا مثل أمديو»[2].

وقد يكون إلحاح "أمديو" ومواظبته على تعلم اللّغة الإيطالية هو الذي لفت انتباه "ستيفانيا" إليه،فقد كان مختلفا ومتفردا عن غيره من الأجانب الذين كانوا يدرسون رفقته، إذ كانت اللغة الإيطالية بمثابة الحليب الذي يروي عطشه، تقول ستيفانيا: «كان بالفعل كالرضيع الذي يتغذى من حليب أمه عدة مرات في اليوم، كان يقرأ بصوت مرتفع ليحسن قراءته (...) كان بالفعل يرضع من الإيطالية كل يوم»[3].

كما أنّ إتقان "أمديو" للغة الإيطالية، جعلت الناس يظنون أنه إيطالي الأصل فقد كان يتكلمها بطلاقة، أحسن من الإيطاليين أنفسهم، إذ تفوق "أمديو" على الرجل الغربي، وسلب منه أهم مكون من مكونات الذات ألا وهي "اللغة"، أمّا إذا ما نظرنا إلى هذا الأمر من زاوية أخرى فقد تفوق الآخر عليه إذ استطاع أن يؤثر في شخصية "أمديو"، هذه الشخصية التي انبهرت بلغته وجعلتها بديلا عن لغته الأم.

[1]- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات، بيان من أجل ولادة الذات في الوطن العربي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص65.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص118.

[3]- المصدر نفسه، ص ص119، 120.

3- ملامح حضور الذات من خلال الذاكرة: (صحوة الذاكرة)

يحتلّ حضور الذاكرة مكانة مهمة في رواية"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، فقد ارتبطت بالذات من حيث أنها جزء لا يتجزأ منها، ذلك أن «الذاكرة شرطا لا غنى عنه في الحياة الإنسانية الفاعلة، ومن ثم فهي جزء من الفكر الإنساني»[1].

تمثّل الذاكرة عملية إعادة تكوين واسترجاع تجارب معينة وقعت في الماضي، ومن خلال روايتنا يتضح أنّ "أمديو" كان يعيش حالة مد وجزر بين الماضي والحاضر، إذ كان يعيش ولادته الجديدة من خلال تجرّده من ذكريات ماضيه هروبا إلى اللاشعور، فجأة وبعد سنوات تصحوا ذاكرته من جديد من خلال استرجاع واستحضار بعض التجارب والذكريات الحزينة والمؤلمة، على اعتبار أنّ الذاكرة هي الوعي بالماضي الذي يرتبط بالحاضر.

رغم محاولة "أمديو" نسيان الماضي، إلا أنهّ لم يستطع السيطرة والتحكم في ذاته، فالذكريات جزء من الماضي، والماضي جزء من الذات وبالتالي جزء من الحاضر، يقول "أمديو": «الذاكرة كالمعدة تماما، ترغمني من حين لآخر على التقيؤ أنا أتقيؤ ذكريات الدم دون توقف، أنا أعاني من قرحة معدية في الذاكرة»[2]، فالقرحة المعدية عند أمديو تأتي بسبب ما تجرعه من أحزان وما عايشه من آلام ،فكلمّا خفّف من حزنه أكرم معدته.

---

[1]- طوني بنيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ص344.

[2] - عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص ص125، 126.

تمثلت أغلبية ذكريات "أمديو" في شكل كوابيس ليلية كان يعيشها، ولكنّه أراد أن يستبعدها من مخزونها الذاكراتي، تقول ستيفانيا:«الكابوس هو نافدة يتسلل منها الماضي في ثوب سارق»[1]فقد كان "أمديو" يعاني من الكوابيس الليلة بسبب هروبه من الماضي الأليم «في إحدى المرات استيقظ من نومه مفزوعا وهو يرده: بجه! بجه! بجه! كان العرق يتصبب من جبينه كأنه في جحيم»[2].

ففقدان بهجة* هو الذي جعل"أحمد" يتقمص شخصية "أمديو" الإيطالي، ذلك أنّ رحيل بهجة أخذ معه كل ما هو جميل .

وقد عبّر "أمديو" عن ألمه لفراق حبيبته بهجة بقوله: «ذاكرتي جريحة تنزف، يجب أن أضمد جراح الماضي في عزلة. يا للحسرة، صارت "بهجة" تحضر في الكوابيس فقط ملفوفة بكفن ملطخ بالدم! آه يا جرحي المفتوح الذي لا يندمل أبدا ! لا عزاء لي إلا العواء: أووووووووووو»[3].

كما تجسّدت صحوة الذاكرة في رواية"عمارة لخوص"من خلال الحنين إلى الماضي من خلال الاشتياق لبعض العادات والتقاليد يقول "أمديو" «تذوقت الملعقة الأولى حتى تقيأت، يومها عزيت نفسي

[1] – المصدر السابق، ص122

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

*– بهجة : خطيبة أمديو التي قتلت وهي في طريقها إلى بيت أختها في العشرية السوداء في زمن الإرهاب، حيث وقعت في كمين جماعة مسلحة اغتصبت النساء وقتلت الكثير منهن، فغادرت بهجة الحياة وأخذت معها كل ما هو جميل بالنسبة لأمديو، ما جعله يهجر بلده، لعل وعسى يمكنّه هذا الأمر من نسيان ماضيه المرير.

[3]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص127.

بالقول أن الكسكس كحليب الأم تماما، له رائحة متميزة لا تُسترد إلا بالاحتضان والتقبيل»[1]، فصحوة "أمديو" هنا تتمثل من خلال الحنين إلى أصول الطبخ الجزائري، فمن خلال تذوقه للكسكس أراد أن يبين لنا أنّه مهما حاولنا الانفصال عن أصلنا، وتناسينا عاداتنا فإننّا نظل متشبّثين لاإراديا بها.

هذا ويذكر "أمديو" في موضع آخر مدى اشتياقه للعادات والتقاليد الرمضانية "ما أقصى أن تصوم رمضان في روما بعيدا عن البهجة! فما الفائدة من الامتناع من الأكل والشرب ثم الأكل وحيدا؟ أين صوت الآذان؟ أين البوراك؟ أين الكسكس الذي تعده الأم بيدها ؟ أين قلب اللوز ؟ أين الزلابية؟ أين الحريرة ؟ أين المقروط؟ كيف أنسى سهرات رمضان في الأحياء الشعبية والعودة إلى البيت في وقت متأخر من الليل؟»[2].

وهنا يستحضر "أمديو" رمضان في بلده الجزائر ويظهر حنينه لكل تفاصيله من مأكولات، وحلويات، وسهرات. يحاول "أمديو" إذا أن يلغي الآخر الذي كان يعتبره أساس ولادته الجديدة، وذلك بالعودة إلى ذاته، وبثّ الروح فيها من جديد من خلال وعي الذات لذاتها، ذلك «أنّ الذات مهما تمر عليها من أحوال تعي ذاتها على أنها هي هي، وستظل هي هي، وتعيش على أنّها هي هي حتى لو نفرت

[1]- المصدر السابق، ص138.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الذات من ذاتها فهي لا تنكر ذاتها»[1].فمهما حاولت الذات الهروب من طبيعتها الأولى، فإنّها تجد نفسها تصطدم بها لا محالة، فالذات تبقى حبيسة نفسها رغم قسوة التأثيرات الخارجية التي مرت بها.

4- ملامح حضور الذات من خلال سلطة الاتصال:

تلعب وسائل الإعلام والاتصال في وقتنا الراهن دورا فعالا في المجتمعات، وقد انعكس هذا من خلال تأثيرها الواضح على آراء اتجاهات الفرد أو جمهور المتلقين، إذ تُعدّ المسلسلات التلفزيونية من أكثر الإنتاجات الفنية البصرية تأثيرا على الذات المستقبلة، إذ تمس فئات مختلفة من حيث الانتماء الجغرافي والمذهب الثقافي، ما جعل نوع الاستجابات تختلف، وهذا ما سمّاه "عبد اللطيف" "بلاغة الجماهير" والتي تتجلّى في عنصري "الاستجابة" أو "الرفض" لأي مؤثر خارجي سواء كان "سمعيا" أو "بصريا".

وقد عكست شخصية "ماريا كريستينا" في رواية "عمارة لخوص" نموذج حي للتأثيرات السّمعية البصرية على حياة الفرد، ذلك أنّها جعلت من "المسلسلات البوليسية" منهجا لها في رسم خطة قتل شنيعة من خلال إدمانها على مشاهدة هذا النوع من الأفلام « لقد وضعت خطة قتل شنيعة إلى أبعد الحدود حيث استفادت كثيرا من المسلسلات البوليسية التي تشاهدها يوميا على التلفزيون»[2].

وهنا يتجلى لنا موقف الذات المستهلكة -"لماريا كرستينا"-والتي تتميّز بالرضوخ والاستجابة السلبية عن طريق التأثيرات التي تنتجها الانتاجات التلفزيونية المتنوعة بصفة عامة، والمسلسلات البوليسية بشكل

[1]- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات، بيان من أجل ولادة الذات في الوطن العربي، ص40.

[2]-عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص148.

خاص. فالتلفزيون من خلال موقف "ماريا كريستينا" كان عبارة عن أداة لنشر الوعي الزائف الذي لا يتوافق مع الحياة الواقعية، فالتلفزيون هو المتهم أو المجرم، والذات المستهلكة ما هي إلاّ ضحية اغتيال عقلي يستهدف شخصيات معينة من شأنه التحكم في قناعتهم الشخصية عن طريق الردود السلبية التي تصدر عنهم« أنا أقول أنه يجب منع عرض الأفلام البوليسية لأنّها صارت مدرسة لتخريج المجرمين، هناك وصفات لا تعدّ ولا تحصى لكيفية قتل الزوج أو العشيقة أو رئيس العمل »[1].

تُعدّ المسلسلات التلفزيونية بمثابة السلطة التي تفرض أرائها على فئة مستهدفة وهذا ما ذهب إليه "مانويل كاستلز" في قوله: «السلطة هي القدرة ذات الصلة التي تمكن فاعلا اجتماعيا من أن يؤثر بشكل غير متناسب على قرارات الفاعلين الاجتماعيين الآخرين بسبل تحابي إرادة الفاعل المتمتع بالسلطة ومصالحه وقيمه، وتمارس السلطة من خلال وسائل القسر (أو إمكانية ممارسته)، أو بناء معنى أو من خلال بنائه»[2]

تتخفّى السلطة في بعض الأحيان تحت إيديولوجيات معينة، إذ تكون لها أهداف باطنية مضمرة، وهذا هو الحال مع الأفلام البوليسية التي ساهمت بشكل سلبي في بناء عالم اجتماعي زائف، يتنافى مع قيم ومبادئ العالم الحقيقي، والذي بات يشكل حالة من التناقض والصراع داخل الذات التي تتخبّط في صياغة أفكارها واتجاهاتها.

[1]- المصدر السابق، ص144.

[2]- -مانويل كاستلز: سلطة الإتصال، تر:محمّد حرفوس، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط1، 2014 ،ص37.

ولا يمكن للذات أن تتخلص من كل هذه المؤثرات إلا بالوعي الحقيقي الذي يمثل الأشياء كما هي دون تصنّع أو تكلّف، وهذا ما ناقضه "دوركهايمر" «فالمعنى المباشر للعالم و(العالم الاجتماعي على الخصوص) يفترض ما يدعوه "دوركهايمر" المحافظة المنطقية وأعني" مفهوما متجانسا عن الزمان والمكان والعدد والعلة، ذلك المفهوم الذي يسمح للعقول بأن تتفاهم فيما بينها"»[1].

فبدلا من أن يكون الإنتاج التلفزيوني منبرا لنشر وعي جديد، فقد ساهم في توتر الوعي الاجتماعي الذي يحرر العقول من كل الأفكار السلبية التي انطلقت منها الذات والتي انعكست في رواية "عمارة لخوص" من خلال تحقيق رغبة الانتقام التي تعتري الذات نفسها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الوعي "الناقص" للذات فبدل اللجوء إلى أساليب منطقية تمكّنها من الخروج من الحالة التي كانت عليها اختارت أن تدمر حياتها كلية «اختارت المصعد لأنه مصدر النزاعات بين سكان العمارة ثم وقع اختيارها على السكين لأنّه أداة قتل رجالية مما يبعد عنها الشبهات (...) استطاعت أن تنفذ خطتها بمهارة فائقة دون أن تترك أي أثر»[2].

فمن خلال المسلسلات التي لجأت "إلزابتا فابياني" لمشاهدتها من أجل تمضية الوقت أو التّسلية استطاعت استنباط الكثير من القيم السلبية التي تؤثر في المجتمع وفي الذات بالدرجة الأولى إذ «يشكل مجال الإنتاج الرمزي عالما مصغرا للصراع الرمزي الذي يدور بين الطبقات: فعندما يخدم المنتجون مصالحهم

[1]- بيير بورديو: الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر ، ط3، 2007،ص49.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص148.

الخاصة في الصراع الذي يدور داخل مجال الإنتاج فإنّهم يخدمون مصالح الجماعات الخارجة عن ذلك المجال»[1].

فالإنتاجات التلفزيونية بأنواعها لا توضع عبثا، وإنّما توضع لتحقيق أهداف باطنية تتنافى مع الأهداف الظاهرة، كما قد نجد أنّ جانبا كبيرا منها قد عملت على فضح السلطة الرمزية التي تستعملها المؤسسات القانونية، إذ يذكر مفتش الشرطة –مثلا– في رواية "عمارة لخوص": «أعترف أن عملنا صار قاسيا ومتعبا لأن أسرار مهنتنا في متناول الجميع، لقد أفلسنا! اللعنة على التلفزيون»[2]، تشكل الإنتاجات التلفزيونية بتلاوينها المتعددة ما من شأنه أن يفضح الأيديولوجيات الخفية التي تختفي وراءها السلطات بأنواعها.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ وسائل السّمعي البصري –وفي مقدمها التلفزيون– قد تنتقل من كونها أداة للتواصل يستطيع من خلالها الإنسان ترجمة أفكاره ومشاعره إلى كونها أداة لتحطيم الذات وذلك لما تحمله في ثناياها من شحنات سلبية قد تكون بمثابة حبوب منومة للذات أو لوعي الذات لذاتها، وبهذا يدخل هذا النوع من الوسائل قفص الاتهام وتصبح"محط الشبهات"، فقد انعكس تأثيرها السلبي في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" من خلال شخصية "إلزابتا فابياني" التي كانت ضحية الخداع السمعي البصري

[1]– بيير بورديو: الرمز والسلطة، ص51.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص145.

الذي يستعمل تقنيات معينة تؤثر على سلوك المستهلك دون وعي فعلي بأخطار هذا الأمر إذ يعمل على إنهاء حياة الفرد بشكل مأساوي.

5- ملامح حضور الذات من خلال الأشكال المشابهة للسيرة الذاتية:

5-1- ملامح حضور الذات في اليوميات:

تُعتبر اليوميات محكي حميمي وشخصي، يكتب من يوم لآخر، وهو يمثّل مجالا للتجربة اليومية، التي يكتبها صاحبها يوما بيوم، ويكون فيها ملاحظاته بالنظام الذي وقعت به الأحداث التي شاهدها أو كما رويت من شهود عيان، ويسجّل كاتبها اتجاهاته إزاء الأحداث التي تتلاحق بسرعة متزايدة، ويرتبها ترتيبا زمنيا قد يكون متسلسلا أو متقطعا بما تيسر له، أمّا الدافع إلى كتابتها فيكمن في رغبة الإنسان في أن يسجّل اتجاهاته الدائمة التغيير في عصر تجري فيه الأحداث بسرعة متلاحقة[1]، فاليوميات ما هي إلاّ تفريغ لحمولات نفسية إيجابية كانت أم سلبية، ذلك لا يشترط فيها اعتماد تقنيات فنية راقية هي فقط مجرد تدوين لأحداث يومية للفرد دون تفكير مسبق فهي لحظية وآنية.

وقد طغى حضور اليوميات في أغلب صفحات رواية " كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"، ذلك أنّ معظم حكي شخصيات الرواية كانت عبارة عن يوميات تسرد فيها كل شخصية أحداث معينة، من مثل ما نجده عند "أمديو" «حاولت أكثر من مرة إقناع بارويز بتعلم أصول الطبخ الإيطالي،لكنّه رفض.

[1]- علي محمّد عبه بركات: رواد السيرة الذاتية من افرنج وعرب، مقالة ضمن مجلة العربي، العدد 165، جمادى الآخرة 1392هـ أغسطس1972م، ص162.

هذه المسألة تثير تساؤلات عدة، إنها تتجاوز عتبة الطبخ، أعتقد أن بارويز خائف من نسيان الطبخ الإيراني إذا ما تعلم شيئا من الطبخ الإيطالي»[1].

يظهر من المقطع السابق أنّ تعلق "بارويز" بأصول الطبخ الإيراني هو في الحقيقة تعلقا بذاته ووطنه وانتمائه، فهو يأبى التعايش والاندماج مع الآخر، على اعتبار أنه قد يشكل خطرا على مقوماته الذاتية، ومن خلال تعمقنا أكثر في هذا المقطع نلحظ بروز ذات "أمديو" المثقفة والتي تدعوا إلى الانفتاح على الآخر بتعلم أصوله ومبادئه بغية إثبات الحضور في مجتمعه .

هذا ويذكر أمديو في إحدى يومياته: « هذا المساء استوقفني هذا المقطع الوارد في كتاب فرويد "الطوطم" و"المحرم": إن الاسم الذي يحمله الإنسان هو عنصر أساسي من كيانه، بل قد يكون جزءا من روحه»[2]، فوقوف "أمديو" عند هذا المقطع تحديدا هو وقوف مع ذاته العميقة ،فالطوطم في هذه العبارة هو حيوان مسالم يحرم أكله «والعلاقة بين الإنسان وطوطمه متبادلة: فالطوطم يحمي الإنسان، والإنسان يظهر احترامه للطوطم بصور شتى، بالامتناع مثلا عن قتله، إذا كان حيوانا وبالامتناع عن قطفه إذا كان نباتا»[3]، فعلاقة الطوطم بالإنسان هي علاقة الإنسان مع اسمه الذي يجب أن يعامله بكل احترام، بالامتناع عن تغييره مهما حصل، فالإنسان حتى وإن توفي فاسمه يبقى خالدا في أذهان كل من يحبه فالاسم هو شمعة لا لا تنطفئ حتى وإن عصفت به أشد الرياح.

---

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص28.

[2]- المصدر نفسه، ص60.

[3]- سيغموند فرويد: الطوطم والحرام، تر: جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، دط، دت، ص135.

كما يقول "أميديو" في موضع آخر: « لا يزال الكابوس المشؤوم يلاحقني. قالت لي ستيفانيا هذا الصباح أنني صرخت أثناء النوم وكررت عدة مرات اسم " بجة " لا شك أنها تعني بهجة. لم أرغب بإخبارها بتفاصيل الكابوس. ما الفائدة من إشراكها في لعبة الكوابيس؟ ذاكرتي جريحة تنزف، يجب أن أضمد جراح الماضي في عزلة»[1]، فرغم محاولة "أمديو" التخفيف من حزنه وهمّه عن طريق ممارسات اليومية، إلا أنّه لم يستطع أن ينزع من حياته كل آثار الحزن وذلك بكل ما تتأجج به من عواطف وتعصف به من مشاعر من حين إلى آخر، كالكوابيس الليلية التي تلاحقه والتي جعلت جرحه ينزف من جديد.

كما قد تنعكس اليوميات في شكل ذكريات دفينة نقوم باسترجاعها من حين لآخر «غدا عيد لا شك أن أمي ستبكي كثيرا لغيابي، في مثل هذا اليوم تزداد مسافة الفراق وتبرد حرارة مشاعر الأحبة، سأتصل بها غدا، لأهنئها كعادتي في هذه المناسبات»[2]، يتجلّى حضور الذات هنا من خلال استرجاع بعض الذكريات والتقاليد كفرحة قدوم العيد وفرحة لقاء العائلة والأحبة، والتي كان أمديو يتحاشى تذكرها والبوح بها، مما دفع به إلى تجسيدها في شكل يوميات «فاليوميات أشبه بحديث أو حوار يومي بين الكاتب ونفسه عبر الورق أو المدونة وهي بمثابة بوح بمكنونات النفس ولوعتها، أو تدوين الأفكار والقناعات التي يعبر بها»[3].

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص127.

[2]- المصدر نفسه، ص138.

[3]– رشا المالح: اليوميات ذاكرة تسرد تفاصيلها على الورق، البيان، 05 يونيو 2011.

قد تكون اليوميات إذا عبارة عن أحداث شخصية وحساسة تخفيها الذات عن الآخر ولا تبوح بها إلاّ على الأوراق، حيث نجد أن "أمديو" يستجمع جميع الذكريات التي عاشها في ماضيه المرير والتي لم تضمد جراحها بعد كألم فقدان الحبيبة، فيواسي بها نفسه بعيدا عن مشاركة الآخر له: « يا للحسرة صارت " بهجة" تحضرني في الكوابيس فقط ملفوفة بكفن ملطخ بالدم»[1].

هذا وقد نجد تقاطع اليوميات مع السيرة الذاتية في النص الواحد ، فقد تنعكس السيرة الذاتية عبارة عن يوميات أو ذكريات، إذ نجد "بارويز" يسترجع ذكرياته ويكشف عن حياته عبر أحداث وقعت له في الماضي إذ يقول: « هربت من شيراز لأني كنت مهددا، لو عدت إلى إيران سأجد حبل المشنقة في انتظاري، عليهم اللعنة! اعتقدوا أني غشاش وكاذب، لم يخطر ببالي أبدا ترك إيران، أثناء الحرب مع العراق حاربت في الصفوف الأولية جرحت أكثر من مرة.ثم كيف أتخلى عن أطفالي وزوجتي وبيتي ومطعمي في شيراز»[2]، فذات بارويز تسترجع ذكريات مر بها قبل سنوات فهو يتذكر الحرب بكل تفاصيلها.

كما نجد "يوهان مارتن" أحد شخصيات الرواية يذكر: « جئت إلى روما لدراسة السنيما وتحقيق الحلم الجميل الذي راودني منذ الصغر. أنا معجب بالسنيما الإيطالية كثيرا، لا أخفي تعلقي بالواقعية الجديدة التي أحدثت فقرة نوعية في صناعة السنيما»[3]. نلتمس من خلال هذا المقطع أن "يوهان مارتن"أراد أن يشاركنا أحلام طفولته وأهدافه من خلال سرده لبعض التفاصيل التي مر بها في طفولته في الماضي وصولا

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص127.

[2]- المصدر نفسه، ص20.

[3]- المصدر نفسه، ص96.

إلى الزمن الحاضر، وهنا نلمح تقاطع واضح بين اليوميات والسيرة الذاتية، وذلك من خلال المزج بين الزمن الماضي والزمن الحاضر،فالسيرة الذاتية غالبا ما تكون عبارة عن أحداث وقعت في الماضي على عكس اليوميات التي تعتبر آنية وتكتب لحظة وقوع الحدث على اعتبار أنّ اليوميات «سجل للتجارب والخبرات اليومية، تحفظ الأخبار والأحداث الحياتية للشخص»[1].

كما تقوم شخصية "عبد الله بن قدور"*بسرد بعض من التفاصيل عن ابن بلده "أحمد " المدعو "أمديو"«كان أحمد أو "أمديو" –كما تسمونه أنتم– يعمل في المحكمة العليا في الجزائر العاصمة مترجما من الفرنسية إلى العربية، كان قد اشترى شقة في باب الزوار كي يعيش فيها مع بهجة بعد الزواج لكن المكتوب أراد شيئا آخر»[2]. فليس من الضروري أن يحكي الشخص بنفسه عن سيرته وذكرياته فقد يسرد عنه شخص آخر كما هو الحال في هذا المقطع الذي يلّم ببعض تفاصيل حياة "أمديو"، إذ يعد هذا المقطع أقرب للسيرة الغيرية من السيرة الذاتية.

5-2-ملامح حضور الذات في الاعترافات:

تُعدّ الاعترافات من الفنون الكتابية الأدبية التي تنتمي إلى ما يعرف بأدب الذات، تلجأ فيها النفس إلى الاعتراف بمواقف معينة إيجابية كانت أم سلبية ذلك أنّ «الدافع الرئيسي ورائها هو تخفيف عبئ الشعور

[1]– فيليب لوجون: السيرة الذاتية، تر عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1944، ص24.

–*عبد الله بن قدور:مهاجر جزائري جعلت منه الظروف بائع سمك في ايطاليا حيث يلتقي ويتعرف على أخ صديقه طفولته "أحمد "المدعو "أمديو"الذي غادر الجزائر بعد حادثة حبيبته "بهجة".

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص ص132، 133.

بالذنب الذي يثقل كاهل صاحبها»[1]، وغالبا ما تكون متنفسا يخفّف من ثقل أعباء الضمير وهذا ما نجده في رواية "عمارة لخوص" والذي انعكس من خلال مواقف بعض الشخصيات، إذ يقول أمديو «زاد وزني في بعض الشيء، يبدو أن بارويز محق في قوله: أنت مدمن من نوع خاص أنت لا تدمن على المخدرات يا أمديو وإنّما على البيتزا، لم أنتبه إلى مسألة البيتزا إلا مؤخرا (...)كل أعراض الإدمان بارزة إذا، امتزجت بدمي كما تفعل الكحول بدم المدمن،عما قريب أذوب كالعجين وأصير بدوري بيتزا!»[2].

فإذا تعمقنا أكثر في هذا المقطع سنجد أنّه مشحون بالمعاني والدلالات، فالبيتزا في هذا السياق جاءت كرمز للآخر المضاد، والإدمان هنا يكون بالانبهار بالآخر المناقض للذات، وهذا ما دفع "أمديو" إلى الاعتراف بذوبانه في الثقافة الغربية وقد أكد على ذلك باستخدامه للضمير المتكلم "أنا" لشعوره بفقدان ذاته، فالثقافة الأوروبية سلبت منه ذاته روحا وفكرا وجسدا.

كما يذكر "أمديو" في موضع آخر من الرواية: « اليوم زاد كرهي للحقيقة ونما عشقي للعواء، سأعوي بقية الليل في هذا العش الضيق، وأنا أعرف أن عوائي صيحة في واد لن يسمعه أحد غيري، سأودع في هذه المسجلة الصغيرة عوائي المتقطع أعزي نفسي بسماعه أووووووووو...»[3]، وهنا يعترف "أمديو" بموقفه المعادي اتجاه الحقيقة ولجوئه للعواء جاء كترجمة للحالة النفسية الباطنية التي يعاني منها، فالحقيقة بالنسبة له تتعلق بالماضي القاتم الذي عاشه، أمّا العواء فهو السياسة التي ينتهجها للهروب من ذاته.

[1]- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، دط، 1992، ص45.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص28.

[3]- المصدر نفسه، ص30.

ومن المواقف التي تبرز مدى تأثر "أمديو" بالثقافة الغربية نذكر أيضا:« أنا رضيع أحتاج يوميا إلى الحليب، اللغة الإيطالية هي الحليب اليومي»[1]، وهنا يعترف "أمديو" بفضل اللغة الإيطالية عليه، إذ يشبهها بحليب الأم الذي لا يوجد مثله، وهذا دليل على مدى تعلق "أمديو" بلغة الآخر –الإيطالية– التي تجعله يتمسك أكثر بالحياة، كما نجد أنّ اعترافات "أمديو" بمدى تأثير الثقافة الغربية عليه تنعكس في مواقف عديدة منها:« صرت من المؤمنين المتعصبين بالثالوث المقدس: كابتشينو وكورنيتو والكوريري دلاسيرا»[2] فأمديو أصبح من المدمنين على عادات جديدة تتنافى مع عاداته القديمة، وهذا دليل على تأثره ورضوخه للآخر الغربي كلية.

كما نجد في إحدى المقاطع النصية اعتراف "أمديو" بحنينه إلى وطنه وأحبائه « أنا مصاب بالزكام الأسترالي، لا أقوى على المشي، المرض يوقظ شيطان الحنين أو "الوحش" –كما نسميه عندنا– إنه الخوف من الموت: الموت يعيد عن أنظار الأحبة الموت وحيدا، الموت بعيدا عن الأم»[3]، فاعتراف "أمديو" بشوقه وحنينه، هو اعتراف بذاته ووعيه لوضعه الحالي، فقد يلجأ الإنسان إلى التناسي في بعض الأحيان إلا أنّه لا يمكنه الفرار من الواقع.

ومن بين الشخصيات المناقضة لموقف "أمديو" من الآخر نجد بارويز في قوله: «أنا أكره البيتزا كرها لا نظير له، لكن هذا لا يعني أنني أكره كل من يأكلها (...) فلتكن الأمور واضحة من البداية: أنا لا أكن

[1]– المصدر السابق، ص125.

[2]– المصدر نفسه، ص113.

[3]– المصدر نفسه، ص139.

أي عداء للإيطاليين»[1]. إنّ ذات "بارويز" ترفض الآخر وتأبى الاندماج معه ولكنهّا تعترف بأنهّا لا تكن أي عداء اتجاهه، ف"بارويز" يتقبل الآخر كآخر مختلف عنه ولا يشبهه بتاتا، واستخدام ضمير المتكلم "أنا" جاء تأكيدا لموقف "بارويز" من الثقافة الغربية والتي تشكل خطرا على مقوماته الذاتية.

كما تعترف إحدى شخصيات الرواية بكرهها للآخر، ونقصد تحديدا شخصية "أنطونيو ماريني"*:«أنا لا أثق أبدا في أبناء الذئبة، لأنهم حيوانات مفترسة متوحشة.إن الحيلة الخبيثة هي وسيلتهم المفضلة في استغلال عرق الآخرين !»[2]، فذات أنطونيو ترفض وبشدة أبناء الذئبة- هذه الأخيرة التي تمثل رمز روما-إذ يصفهم بالوحشية والخبث في معاملتهم للآخرين.

استطاعت الذات إذا أن تثبت حضورها بأشكال مختلفة في رواية "عمارة لخوص" سواء من خلال عتبة العنوان، أو من خلال رفضها لماضيها، أو من خلال محاولة تقمصها لشخصية بديلة ومختلفة كلية عن ذاتها، أومن خلال توظيف الروائي لبعض أشكال كتابات الذات.

[1]- المصدر السابق، ص ص 09، 10.

*- أنطونيو ماريني: الأستاذ الجامعي الوافد من ميلانو، هذه المدينة التي تمثل في نظره القيم العليا للإيطاليين وهي مركز التقدم والتحضر، على عكس أهل الجنوب الذين يرفضهم بشدة ويصفهم بالكسالى والوحشيين.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص85.

الفصل الثاني

سياسات الهوية وأبعادها في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"

أولا– سياسات الهوية

ثانيا– في إطار المفهوم

1– المفهوم اللغوي لمصطلح الهوية

2– المفهوم الإصطلاحي لمصطلح الهوية

ثالثا– الهوية والضمير الجمعي

رابعا– الهوية وسياسة الرفض

خامسا – الهوية وسياسة الإغتراب

سادسا – الهوية بين الثابت والمتحول

سابعا – الهوية والإيدولوجيا

ثامنا – الهوية وإيديولوجية المكان

أولا– سياسات الهوية:

يعاني المهاجر في كل بقعة من العالم وبعيدا عن بلده الأصلي من مختلف أنواع الاضطهاد والظلم والنبذ والرفض من طرف الآخر المختلف عنه كلية سواء في التفكير، أوالدين، أو العادات والتقاليد، إذ نجد بعض الجماعات«تفصل بعض أشكال الحياة والعلاقات والجماعات، وفي الوقت نفسه تفرض أنواعا مختلفة من العقوبات الرسمية وغير الرسمية على أشكال وعلاقات وجماعات أخرى. ومن المفهوم أنّ هؤلاء الآخرين يشتكون من أنّ الثقافة المهيمنة تقلل من شأن هويتهم، وتلزمهم بالتوافق مع الأعراف غير المقبولة لديهم وتقمعهم وتذلهم وتضعهم في نمط مقيد ومغترب وتوقع بهم شتى ألوان الإيذاء النفسي وغيره»[1].

فالمهاجر يعاني كل أنواع الظلم واللاّمساواة، كما يتحتم عليه الانصهار في ثقافة وعادات الآخر وإلا سيعيش مهمشا بلا قيمة، ما دفع بالكثير منهم–المهاجرين– للبحث عن وسيلة تحفظ حقوقهم وكرامتهم. وتعدّ سياسات الهوية خير وسيلة تساعدهم على تحقيق هذا الأمر، حيث «..... تفصل سياسة الهوية الجمعية من منطلق مصطلحين مترابطين فعلى المستوى السلبي نتوسل بلغة التحرر مثل: تحرر المرأة، والمثليين والسود، ممّا ينطوي على أنّ تلك الجماعات تريد أن تتحرر من سلطة الآخرين، لكي يتعرفوا على هويتهم ومن العبء الأخلاقي والسيكولوجي الذي يحملونه لكي يعيشوا وفقا للأعراف القمعية أو الاستبدادية»[2].

[1]– بيكو باريك: سياسة جديدة للهوية، المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، تر: حسن محمّد فتحي، مرا: محمود ماجد عبد الخالق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص61.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ص62.

سرعان ما تشعر الأقليات إذا بالتهميش كما هو الحال لدى النساء والمثليين وغيرهما، إذ يعتري المهاجر الإحساس بالنقص إزاء الوضع الذي يعيشه من تمييز عنصري ، واضطهاد وكل ما يتلقاه من ظلم من قبل الآخر، وبالتالي فسياسات الهوية تحقق لنا أمران مهمان؛ فهي وسيلة تمكن بعض الفئات من التخلص من وضعهم الهامشي واسترجاع حريتهم، لتصبح لهم ثقافة يعتزون بها ويحترمها الآخر، وهي من جهة أخرى تتوسل « .....لغة الفخر، مثل فخر المثليين، والبشرة السوداء ببشرة جميلة،(....) فتلك الجماعات غير قانعة بالتحرر من القيود المفروضة عليها اجتماعيا فحسب، ولكنهم يريدون أن يصاحب هويتهم الجمعية شعور بالكرامة وعدم التحقير والتدني والأهم أنهم يريدون أن يعلنوا ذلك على الملأ»[1].

يمكننا إسقاط هذا القول الأخير على المهاجر أيضا ففي الوقت الذي نجد الكثير من المهاجرين ينقصون من قيمتهم ويرون أنّهم مهمشون، يرى المهاجر الآخر نفسه شخصا كباقي السكان الأصليين بل يفتخر بثقافته ولغته وأصالته ويعتز بها في المجتمع الذي يعيش فيه.

لسياسات الهوية وجهان مختلفان عن بعضهما البعض؛ فالوجه الأول يتمثّل في المناداة بالتحرر ورؤية حياة كريمة ممّا لاقته الأقليات من تهميش وتحقير والعجز عن مجابهة الجماعات التي تفرض عليها أن تتوافق ضمن أعرافها غير المقبولة لديها وتسعى للاعتراف بها، أمّا الوجه الثاني فيتمثل في تلك الفئة التي تعتز وتفتخر بذاتها وهويتها أمام المجتمع الذي تنتمي إليه، ولا ترى في أصالتها عيبا بل ترى أنّ ثقافتها وأفكارها المختلفة شيئا يميزها عن غيرها.

[1]–المصدر سابق، الصفحة السابقة.

ثانيا: في إطار المفهوم

يُعدّ مفهوم الهوية من المفاهيم العصيّة الإمساك، وذلك يرجع لغموض هذا المفهوم من جهة، بالإضافة إلى سعته وشموليته من جهة أخرى، لذلك نجد الكثير من التعريفات الخاصة به، وكل واحد منها يهدف إلى إيصال أفكار ومعتقدات معينة تخدم الحقل المعرفي التي ينتمي إليه أصحابه، ذلك أن هذا المصطلح – الهوية– كان محلّ استقطاب حقول معرفية متنوعة فلسفية، اجتماعية،نفسية ....الخ

ونظرا لما يحمله هذا المصطلح من أهمية بالغة، سلّطنا الضوء على أهم تعريفاته حتى نستطيع الإلمام ببعض إشكالاته المفاهمية من الناحيتين اللّغوية والاصطلاحية.

1–المفهوم اللغوي مصطلح الهوية:

جاء في المعجم الوسيط «أنّ الهوية في الفلسفة: حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا»[1]، وبعبارة أخرى يمكن القول أنّ الهوية هي التي تعبر عن ماهية الشخص وتعرف به، وتكسبه حق الانتماء الحقيقي والشرعي للوطن الذي ينتمي إليه، فكلّ شخص يمتلك حق المواطنة.

[1]– إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1429، 2008م، ص998.

كما ورد في "كتاب التعريفات" ل "الشريف الجرجاني " أنّ الهوية تعني: « الحقيقة المطلقة مشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلقة»[1]، تعبر الهوية إذا عن جوهر الشيء، ونستطيع القول أنّ الهوية هي معدن الإنسان الحقيقي بكل ما يشتمل عليه من ثقافة وحضارة وتراث وغيرها.

ومن معاني الهوية أيضا أنّها تدل على «....ذات الكائن من جهة ما هو ، أو من جهة ما هو ذاته يرجع برغم التغير، أو من جهة ما يتفرد به في الوجود، فيتميز عن غيره »[2]، يتضح لنا من خلال هذا المفهوم أنّ الذات مكون مهم من مكونات الهوية، فبتفاعل الذات مع الهوية يستطيع الفرد التميز عن غيره حتى وإن تغير، فالحديث عن هوية الشخص أو كيانه هو حديث عن خصائصه النّفسية والاجتماعية والثقافية التي من شأنها أن تفصل بين الأنا والآخر المختلف عنه.

يحُيل مفهوم الهوية إذًا على معاني عميقة لا يمكن حصرها في هذه التعريفات فقط، وذلك لاختلاف وعاء الفكر الثقافي والاجتماعي والفلسفي الذي بلور فيه أصحابه مفهوم المصطلح فجاء هذا التعدد المفاهيمي نتيجة اختلاف وجهات نظرهم.

[1]- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات،تح:محمد الصديق المنشاوي ،دار الفضيلة ،دط ،1413،ص278.

[2]- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مدينة السادس من أكتوبر ، ط1، 1437هـ، 2012م، ص6.

2- المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الهوية:

نظرا لما يحمله مصطلح الهوية من تداخل وتقاطع مع مجالات معرفية مختلفة زادته غموضا وتعقيدا، رأينا أن نتطرق إلى بعض الحقول المعرفية، ذات الصلة بهذا المفهوم، لعلّ وعسى أن يمكنّنا هذا الأمر من رفع بعض الالتباسات التي يعاني منها هذا المصطلح حيث تؤكد"هويدا عدلي"« أنّ التعامل مع مفهوم الهوية هو نفسه التعامل مع مفهوم القلق، فهو يولد أسئلة أكثر ممّا يعطي حلول وإجابات»[1].

2-1- مفهوم مصطلح الهوية عند علماء الاجتماع:

إنّ التباين المعرفي الذي يتميز به "مصطلح الهوية" من مفكر إلى آخر، جعلنا نشهد على مدى قابلية انفتاح هذا المصطلح على مجالات معرفية متنوعة، فقد ربطه الكثير من علماء الاجتماع بحقلهم المعرفي فظهر ما يسمى بالهوية الاجتماعية.

يعرف "ناجيل" مفهوم الهوية الاجتماعية بأنّها«جزء من ذلك المفهوم لدى الفرد الذي يشتق من معرفته بعضويته للجماعة من اكتسابه المعاني القيمية والوجدانية المتعلقة بهذه العضوية»[2]، نفهم من هذا القول أن المعنى الحقيقي للهوية يتجسد من خلال تلك القيم الإيجابية التي يمكن للفرد أن يتحلى بها، فكلما كان الفرد إيجابيا كلما كانت هويته حقيقية وإيجابية أيضا، كما نجد أنّ هذا المفهوم في جانب منه يشير إلى

[1]- خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، بغداد، ط1، 1434هـ،2009م، ص41.

[2]- برهان زريق: الهوية العربية، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2012، ص14.

المعيار الأخلاقي للمجتمع، فالجانب الوجداني يعتبر ضرورة لا تقوم الهوية إلّا عليه، بدليل أنّ الإنسان لو قام بعكس ذلك لما استطاع التعبير عن كينونته.

فالجانب الإيجابي في شخصيتنا هو أساس تكوين هويتنا والتعريف بها، فقد ربط "ناجيل" مفهوم الهوية بالمجتمع وما يتعلق به من جوانب مختلفة، « ذلك أن مفهوم الهوية في علم الاجتماع متعدد الجوانب ويمكن مقاربته من عدة زوايا، فالهوية –بشكل عام– تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم»[1].

تتجدّد الهوية إذا من خلال رؤية الأشخاص لأنفسهم، وللصورة التي يعكسونها في مجتمعهم، و من خلال العلاقات التي تربطهم بالأشخاص المحيطين بهم، وإدراكهم لوضعهم الاجتماعي، وقد انعكس المفهوم الاجتماعي للهوية في رواية "عمارة لخوص" من خلال العلاقة الطيبة التي كانت تجمع بطل الرواية "أمديو" مع الشخصيات المحيطة به « أيّها السادة روما دون أمديو لا تساوي شيئا. أمديو هو الملح الذي يعطي لطعامنا المذاق الطيب»[2].

[1]– أنتوني غدنز(بمساعدة كارين بيردسال): علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، تر: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط4، دت، ص90.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص26.

2-2- مفهوم مصطلح الهوية عند علماء الفلسفة:

يُعدّ أرسطو أوّل من افتتح مجال التفكير في مفهوم الهوية وفق منظور رياضي وفلسفي، فقد عبّر عن الهوية بتعابير متعددة كأن يقول: «أ هو أ أ=أ، هو هو، الشيء نفسه (...) وقد تدلّ جميع هذه المتغيرات أنّ للشيء ذاتية خاصة يحتفظ بها دون تغيره فالشيء دائما هو هو (...) ومعنى ذلك أنّ الهوية تفترض ثبات الشيء»[1].

فالهوية عند أرسطو تعني أنّ الشيء الذي يبقى هو هو، دون أن يطرأ عليه أي تغيير، أي أنّ الذات دائما تبدو كما هي وتكون على حالة بعينها، إذ تعد الهوية شكل من أشكال الثبات المناقض للتغير، وينطبق هذا القول في روايتنا من خلال قول عبد الله بن قدور:« لن أغير جلدي ولا لغتي ولا بلدي ولا اسمي مهما حدث»[2]، فالهوية هنا تدل على ثبات جوهر الشيء على الرغم من التطورات التي تطرأ عليه، فهي ضد الحركية.

كما يربط بعض الفلاسفة الهوية بالدين « "أنا جسمي"كما يقول "جابريل مارسل". وعن طريق الجسم أتحرك وأنتشر في العالم وأعاشر جنسيا وأصارع، ويرفض "سارتر" مقولة ديكارت أنا "أفكر" ويفضل

[1]- محمد نهران: مدخل إلى المنطق صوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط ،1994، ص44.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص130.

"أنا موجود"»[1]، يرتبط مفهوما لهوية هنا بالوجود، هذا الأخير الذي يتحقق عن طريق الجسم أو البدن الذي اعتبره "جابريل مارسل" أساس تحقيق الوجود أو الهوية نفسها.

أمّا إذا نظرنا إلى مفهوم الهوية بصفة عامة نجد أنّ «الهوية كمبدأ فلسفي تعبر عن ضرورة منطقية بعينها تؤكد أنّ الموجود هو ذاته دوما لا يلتبس به ما ليس منه، فهو عين ذاته كما تقول الفلسفة (مبدأ الهوية). فالشخص هو هو مهما اعتراه من تغيرات»[2]، وهذا المفهوم العام للهوية يتوافق مع ما ذهب إليه "أرسطو" في أنّ الإنسان يبقى هو هو، مهما تأثر بمجموعة من المؤثرات الخارجية، فهو يتصدى لهجماتها بالثبات وعدم التغير.

2-3- مفهوم مصطلح الهوية عند علماء النفس:

نظرا لطبيعة مصطلح الهوية الذي فرض وجوده في مجالات معرفية متعددة، فلا عجب أن نجده يتغلغل في عمق الحياة النفسية، إذ حظي هذا الأخير – مصطلح الهوية- باهتمام العديد من الفلاسفة.فإذا بحثنا عن الدلالة الفلسفية للمصطلح –الهوية- عند "الفارابي"نجده يعرفها بأنّها « كلمة مولدة استقاها المترجمون القدامى من (هو) لينتقلوا بواسطتها إلى العربية، فالمعنى الذي تؤديه كلمة (هست) بالفارسية وكلمة

[1]- حسن حنفي حسنين: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،ط1، 2012م، ص ص12، 13.

[2]- فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ص479.

(استين) باليونانية أي فعل الكينونة في اللغات الهندية – الأوروبية الذي يربط الموضوع والمحمول، تم عدلوا عنها ووضعوا الكلمة (الموجود) مكان (هو) و(الوجود) مكان ال (هوية) »[1].

فالوجود والكينونة والواقع إحدى أهم المسائل وأكثرها جوهرية في الهوية، فإذا استطاع الفرد تحقيق وجوده ضمن نظام معين، فسيحقق هويته أيضا، فالوجود والهوية وجهان لعملة واحدة، فسؤال الهوية يجيب عنه الوجود «هل أنا شهرزاد؟ هي تحكي وأنا أعوي بلا ملل (...) من أنا؟ أحمد أم أمديو؟»[2].

هذا وقد نجد أنّ الهوية في جانب من جوانبها « هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثّل في الشعور بالاستمرارية والتحيّز والديمومة، والجهد الفكري، وهذا يعني أنّ الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عن سواه ويشعر بوحدته الذاتية»[3].

ترتبط الهوية هنا بمسألة الشعور بالتميّز عن طريق تحديد صورة معينة عن الذات على أنّها هي وليست الآخر، وهذا الإحساس الداخلي بالتميّز يبين لنا إلى أي مدى يعي الفرد ذاته أو الوعي بوجوده ككائن متفرد.وهذا ما نجده في قول "أمديو": « الكثير من الناس يعتبرون عملهم عقابا يوميا، أمّا أنا فأحب عملي

[1]– عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر»،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2010، ص ص18، 17.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص150.

[3]– عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر»، ص ص20، 21.

كمترجم كثيرا. الترجمة هي رحلة حرية ممتعة من مرفأ إلى آخر، أحيانا أعتبر نفسي مهربا محترفا: أعبر حدود اللغة محملا بالغنائم من كلمات وأفكار وصور واستعارات»[1].

ثالثا: الهوية والضمير الجمعي

إنّ الحديث عن الضمير يحيلنا مباشرة إلى ذلك الجانب المضمر والخفي في أعماق الذات الإنسانية، ولكن بإضافة صفة "الجمعي" انزاح المعنى قليلا فبعدما كانت منطقة الضمير تخص شخصا بعينه أصبحت منطقة مشتركة بين أفراد معينين، إذ يعد عالم الاجتماع الفرنسي "دوركايم" أوّل من أشار إلى مصطلح "الضمير الجمعي" أو "الوعي الجمعي" والذي يُعدّ في نظره « أنظمة من الأفكار والمشاعر والعادات ليس عن شخصيتنا الفردية، بل عن الجماعة والجماعات التي تنتمي إليها، وتأخذ الأنظمة صيغة العقائد الدينية والمعتقدات الأخلاقية والتقاليد القومية أو المهنية والآراء الجمعية»[2].

نجد أنّ هذا القول يختصر لنا الكثير من المقومات الهوياتية التي تعبر عن التعايش المشترك بين أعضاء جماعة معينة لفترة تاريخية طويلة، ومن أهم المقومات التي تحقق الانتساب الفعلي للذات نجد: الانتماء، اللغة، الثقافة، العادات والتقاليد، الدين، الاسم والتاريخ، .....الخ.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص115.

[2]- اليكس ميكشيللي: الهوية، تر:علي وظفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، دت، ص100.

قد تنعكس المقومات الهوياتية التي تخصّ جماعة معينة في ذات الفرد الواحد لتتحول إلى قناعات شخصية تتحكم في سلوكه العام، وهذا السلوك هو الذي يحدد لنا هوية هذا الفرد وانتمائه. ذلك أنّ الانتماء يُعّد من أساسيات ما يحتاجه الإنسان بغية التعايش في بلد ما إذ تُعدّ الهوية مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة والتي تُولّد الإحساس لدى الأفراد بالانتماء لشعب معين والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد[1].

هذا ويعدّ الانتماء بمثابة الوجه الثاني للهوية وهذا ما أكدّه عبد "السلام المسدي" بقوله «الهوية انتماء»[2]؛ فالإنسان الذي ينتمي إلى بلد معين هو بالضرورة حامل لهويته، كما أنّ الانتماء الحقيقي يكون قولا وفعلا. ومن المقومات التي تعكس الانتماء الحقيقي في روايتنا نجد تمسك بعض الشخصيات بكل ما يثبت انتمائهم من لغة وتقاليد ودين....الخ.

[1]- الحاج دواق: الدين والهوية بين طيف الإنتماء وسعة الإبداع، سلسلة ملفات بحثية، 13 مايو2016، ص27.

[2]- عبد السلام المسدي:الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسات سياسات، بيروت، ط1، تموز-يوليو2014، ص259.

2- اللغـة:

تعتبر اللّغة محدد مهم من محددات الهوية، إذ تعد خاصية إنسانية بها يستطيع الإنسان ترجمة أفكاره وقدراته ومشاعره، ومن خلالها يعرف بنفسه وبمجتمعه، وأكبر دليل على أنّ اللغة خاصية إنسانية هو التنوع الثقافي للشعوب، إذ يقول "ابن جني" اللغة «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1].

فلكلّ قوم لغتهم التي تمكنهم من نقل أفكارهم في قالبة لغوية معينة، ولكلّ لغة ميزة وخاصية تجعلها تنفرد عن غيرها من اللغات؛ فاللّغة الإيطالية مثلا تختلف بكثير عن اللغة الإيرانية، إذ نلمح في رواية "عمارة لخوص" تمسك بعض الشخصيات بلغتهم والدفاع عنها، ونذكر منهم "بارويز" الذي كان متشبثًا بلغته الأم "الإيرانية"، والتي تُعدّ في نظره الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بواسطتها التعريف بنفسه من خلال التعبير عن أفكاره والتباهي بقدراته ومواهبه، لكن للأسف الشعب الإيطالي بدوره لا يعرف شيئا عن خصائص ومميزات هذه اللغة، وبالتالي لا يمكنه تثمين قدراته ومواهبه «كثيرا ما يقال لي: "أنت لا تعرف الإيطالية" أو "عليك أن تحسن لغتك أولا" أو"آسف مستواك اللغوي منخفض جدا". ....»[2].

وغالبا ما تكون الأفكار التي نحملها للآخر المغاير أو المختلف من أقوى الدوافع التي تحُفزّنا على الانغلاق الذاتي والفكري الذي يحصر العقل ويحدّ من تفكره، وهذا هو الحال مع "بارويز" فلكي يحافظ على مقوماته الذاتية انغلق على نفسه، فرغم إقامته الطويلة في إيطاليا إلا أنّه لا يعرف أبسط كلماتها

[1]- عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر»، ص46.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص12.

المتداولة في الاستعمال« الكلمة الإيطالية الوحيدة التي كنت أعرفها:تشاو ! هذه الكلمة مفيدة جدا للتحية تقال سواء عند الالتقاء أو الافتراق»[1].

يُؤدي هذا الانغلاق الذاتي أحيانا إلى عواقب وخيمة ،كالحرمان من بعض الأولويات الضرورية للحياة كالعمل وهذا ما جعل "بارويز" يرمى دائما لغسل الصحون، في حين أنّه كان بإمكانه أن يحظى بعمل أكثر احتراما، تقول "ستيفانيا": «يبدوا أن اللغة الوحيدة التي تتقنها يا عزيزي بارويز هي غسل الصحون»[2].

إنّ التمسك باللغة الأصلية والتشبّث بها، لا يمنع الانفتاح على لغات أخرى مغايرة للغتنا الأم، فقد يكون اكتساب لغة جديدة حافز على الاستمرار والتمسك أكثر بالحياة، فتعلق "أمديو"مثلا باللغة الإيطالية وعشقه الكبير لها جاء تلبية لحاجة ملحة تساوت فيها مع درجة حاجة الرضيع لثدي أمه «اللغة الإيطالية هي الحليب اليومي»[3]، وهذا نفس التصور الذي تبناه "فرانسوا ماركيه" والذي يؤكد على « أنّ الإنسان كان يبحث منذ البدايات على مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويته المشتّتة، وقد جمعت وجرى فهمها أخيرًا فهو يُعبّر عن غذاء بحث كهذا في اللغة، الفلسفة، الأدب.....»[4].

تُعدّ اللغة في هذا السياق بمثابة غذاء الروح، إذ تتعدّى جانبها المادي إلى جانبها المعنوي الذي أعان "أميديو" على لملمة كيانه من جديد، وبهذا فأهميتها لا تنحصر على مستوى التواصل فقط، بل لها تأثير

[1]- المصدر السابق، ص13.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص125.

[4]- نور الدين لبصير: تجاذبات اللغة والهوية بين الأصالة والاغتراب، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، دط ، دت، ص33.

مباشر في فكر ووجدان المتحدث بها، يقول أمديو: «أما أنا فأحب عملي كمترجم كثيرا، الترجمة هي رحلة بحرية ممتعة من مرفأ إلى آخر، أحيانا أعتبر نفسي مهربا محترفا: أعبر حدود اللغة محملا بالفئات من كلمات وأفكار وصور واستعارات»[1].

هذا ويضيف "الشريف كرمة" في توضيحه للدور التي تقوم به اللغة قائلا: «اللغة رمز للتعايش المشترك، وبها يتم توثيق روابط الوحدة الجماعية وتدوين سجل الأمة وحماية تاريخها وحفاظ ذاكرتها ما يضمن التفاعل الحضاري بين الخلف والسلف»[2].نفهم من هذا القول أنّ اللغة هي أساس تكوين هوية المجتمع وتوحيد العناصر المشتركة بين أفراده و هي التي تجعلهم ذات هوية موحدة، فالتخلي عن اللغة الأصلية هو التخلي عن الهوية بالدرجة الأولى، يقول "أمديو"متسائلا: « هل اللغة الإيطالية هي مسكني الجديد»[3].فاللغة هنا قد تكون بمثابة مفهوم للهوية نفسها، فالتخلي عن اللغة هو بالضرورة طمس للهوية باعتبارها «وسيلة يُعبّر بها كل قوم عن ذاتهم ومشاعرهم وانتمائهم إليها»[4].

3- العادات والتقاليد:

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص125.

[2]- الشريف كرمة: اللغة العربية وعلاقتها بالهوية www. annales- univ-mosta-dz

[3]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص127.

[4]- عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر»، ص ص47، 48.

تمُثّل العادات والتقاليد الوجه الآخر للانتماء على اعتبار أنّ العادات ما هي إلا أعراف يتوارثها الأجيال لتصبح جزء من عقيدتهم، وقد تنعكس هذه الأخيرة – العادات- في قوالب متعددة كالفنون، الأمثال، الحكم والقصص.....[1].يسعى الإنسان إذا لمواصلة حياته بطرق تتوافق وظروفه المعيشية التي تشمل العادات والتقاليد السائدة في مجتمعه، والتي تنعكس في قوالب متعددة.

لقد تجلّى الانتماء الروحي لشخصية"بارويز"في رواية "عمارة لخوص" من خلال تمسكه بأصول الطبخ الإيراني، فمن خلال الأطباق التقليدية التي ورثها -"بارويز"- أبا عن جد أراد أن يعرف بنفسه وبالتقاليد العريقة لبلده مؤكدا على أنه بالرغم من وجوده في بلد آخر غير بلده إلا أنه لا يزال يفتخر بانتمائه وأصالته، « أشرع دون تأخير في تحضير أطباق إيرانية متنوعة مثل غورمة سبزي وبره كباب وكشك بادمجال وبوراني كدو »[2].

إنّ رغبة "بارويز" في التمسك بعاداته وتقاليده كانت نابعة من إيمانه الشديد بأنّ عادات بلده وتقاليده هي الأفضل وليس لها نظير، مع أنه كان يستوعب وجود اختلاف واضح في عادات وتقاليد مجتمعات أخرى سواء في الطعام أو الشراب أو الملبس.....الخ، فالبنغاليون مثلا« يأكلون الأرز ويلبسون اللباس البنغالي ويشاهدون الأفلام البنغالية على أشرطة الفيديو، غالبا ما أتساءل: هل يعيشون حقا في

[1]- محمّد الضبع: الثقافة والهوية والتكنولوجيا، مكتبة الإسكندرية، دط،دت، ص19.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص17.

روما»[1]. فلا الزمان ولا المكان يمكنهما التأثير على الأعراف التي تُعدّ بمثابة بطاقة تعريف لهوية الذات، فلكلّ مجتمع طقوس وعادات خاصة به خاصة في الاحتفالات.

تُوجد في المجتمع الجزائري طقوس وعادات خاصة به سواء في الزواج أو الختان. ....إذ يذكر "أمديو": «أرى ذكري أو ذكر العائلة يكبر فحين موعد "الطهارة".سأرى دمي يسيل وألعن الزغاريد التي تخنق نحيبي، (...) يسمونه عرس الطهارة، لهم الغناء والرقص والفرح، ولي الألم والدموع والمعاناة.»[2]، فهذه الخصوصية الثقافية التي يتميز بها الشعب الجزائري هي التي جعلته يتفرد عن غيره من الشعوب الأخرى، ذلك أنّ العادات أو الأعراف جزء لا يتجزأ من الموروث الثقافي الذي يترجم الخصوصية الثقافية لمجتمع معين، ودليل ذلك اختلاف مظاهر الاحتفال بها من منطقة إلى أخرى.

ومن الطقوس التي تميّز بها الشعب الجزائري في الزواج يذكر أمديو: «الكل ينتظر وراء الباب، أفواه الناس مكدسة بالزغاريد، اللعنة على الزغاريد! عليه أن يخترق الجدار (...) يويويويويويو....أرى...نفسي أخرج من الغرفة ملطخ بالدم، فيهجم عليّ أهلي وأهل العروس وضيوف العرس كالذباب الذي يهجم على الجيفة»[3]. فتقاليد الزواج الجزائري لا تزال تطارد "أمديو" حتى في بلاد الغربة، فالعادات ليست مجرد شكليات بل هي رموز دالة على دولة بذاتها مشكلة ملامح هويتها بتراثها وعاداتها وتقاليدها.

---

[1]- المصدر السابق، ص124.

[2]- المصدر نفسه، ص140.

[3]-المصدر نفسه، ص141.

4-الثقافـة:

إنّ حديثنا عن العادات والتقاليد أو السمات الثقافية التي تميز بلد ما عن غيره، يُحيلنا مباشرة إلى الحديث عن الثقافة والتي يعرفها "إدوارد تايلور بأنّها «كل مركب على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع»[1].

ومن هنا يمكننا القول بأنّ الثقافة ما هي إلا وجه آخر للعادات، من فنون وقانون وعرف والتي ترتبط بدورها ارتباطا وثيقا بمفهوم الهوية، وهنا تعد الثقافة مقوم أساسي من مقومات الأمة، ومن خلال هذا القول يتضح لنا أيضا أنّ الثقافة لا تكون إلاّ إذا كانت لها صلة بالمعارف الثقافية، إذ تحتفي رواية "عمارة لخوص" بالعديد من الأنساق الثقافية والتي انعكست من خلال بطل الرواية "أمديو" فهو رجل "مثقف" تفكيره مختلف ، يذكر الحوادث التاريخية ، ويناقش في السياسة والتاريخ والوضع الاجتماعي والعادات والتقاليد، و في ضياع الهوية.....الخ.

كما أنّ «الثقافة الحقيقية هي الحياة اليومية تحرك على نحو خلاق وهي العلاقات بين الشر يعاد بناؤها على نحو خلاق كذلك، إنّها مشروع متحرك دائما في اتجاه البشر، تقدما وحيوية، وبالمشاركة بين جميع الأفراد، هكذا يرقون إلى مستوى تكون فيه الأفكار والمصالح والقوى والرؤى متصلة ومتآزرة»[2]،

[1]- مُحَمَّد حسن غامري: المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 1989، ص14.

[2]- أدونيس: المحيط الأسود، دار الساقي، بيروت، لبنان ، ط1، 2005، ص305.

فالوعي الثقافي هنا ينعكس من خلال نضج الفكر الإنساني والاجتماعي «عندما أرى السنيور "أمديو" مع صديقه الإيراني في بار داندیني ، أو ألتقي بهما صدفة في ساحة "فيتوريو"، فأشعر بالغبطة والارتياح، أقول في نفسي ما أجمل أن ترى المسيحي والمسلم كأخوين ،لا فرق بين المسيحية والإسلام»[1]، وبهذا تكون الثقافة المادة الخام التي يبنى عليها المجتمع، فهي التي تصوغ ملامحه وتوضح هويته ومدى تماسكه.

كما يلحظ القارئ حضور ملفت للتراث في رواية "عمارة لخوص"و ذلك من خلال الأمثال والحكم التي تُعدّ جزء من الموروث الثقافي، الذي يترجم الخصوصية الثقافية لمجتمع معين، إذ يقول "أمديو" أثناء حديثه عن "بندتا": « هذا المثل يشبه المثل العربي القائل: الأقارب مثل العقارب»[2]، وكأنُّ "أمديو" باستذكاره لهذا المثل يميز بين الثقافة العربية والغربية، ويذكر في موضع آخر «صدق المثل العربي القائل، فاقد الشيء لا يعطيه»[3]،فاعتراف "أمديو" بمدى مصداقية هذا المثل قد يكون اعترافا بانتمائه وهويته وثقافته التي لطالما أراد التجرد منها.

إنّ الإشادة بالتراث الثقافي في الرواية لم يكن اعتباطيا، فقد عكس بصورة ضمنية مواقف اجتماعية وعبر عن إيديولوجيات ورؤى مختلفة، فبمجرد تعمقنا في الرواية نستشف ثقافة "أمديو" من حيث الدلالة الضمنية التي تحتويها الرواية«حيث تزداد أدبية النص كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية»[4].فقد

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص50.

[2]- المصدر نفسه، ص47.

[3]- المصدر نفسه، ص57.

[4]- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي في قراء الأنساق الثقافية العربية، مركز الثقافي العربي، لبنان، كويت، ط2، 2001، ص71.

استطعنا إذا من خلال قراءتنا لرواية "عمارة لخوص" أن نكشف عن بعض الرؤى الثقافية لشخصيات الرواية من خلال أفكارهم واتجاهاتهم وتضارب إيديولوجياته

– الاسـم:

يرتبط الاسم ارتباطا وثيقا بالذات، إذ يُعدّ من أهم السمات التي تميز الشخص عن غيره وتحدد هويته، فالاسم يمنحنا هوية فردية، حيث « يدل الاسم علي كما يدل عليك، إن الاسم جزء لا يتجزأ من هويتي فيه أعرف سطور في بطاقة الهوية الشخصية، على غلاف كتابي، في دائرة الأحوال الشخصية، على الباب الخارجي، هو اسمي أنا»[1].

إنّ أي خلل في الاسم قد يخلف مشكل عويص في تحديد هويتنا، وقد انعكس هذا في الرواية من خلال شخصية "إقبال أمير الله" إذ يقول: «لاحظت أنهم خلطوا بين الاسم واللقب حاولت أن أشرح لهم أنّ اسمي إقبال ولقبي "أمير الله" أي اسم والدي لأن من عاداتنا في بنغلادش إرفاق اسم الابن أو الابنة باسم الأب، للأسف كل محاولاتي باءت بالفشل»[2].

فالاسم هو الذي يجعلنا نتفادى الوقوع في أي مشكلة هوياتية، فتباين الثقافات واختلافها قد يؤدي في بعض الأحيان إلى العجز والفشل في تحديد الهوية الشخصية، إذُ يعدّ الاسم بالنسبة "لإقبال أمير الله" شيء مقدس، فهو جزء لا يتجزأ من هويته، كما أنّ أي لبس في الاسم قد يُؤدي إلى لبس وغموض في

[1]– أحمد برقاوي: الاسم والهوية، البيان، 22مارس2015.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص52.

تحديد الهوية إذ يذكر " عبد الله بن قدور " في إحدى مواقفه: «حاول الكثير من الإيطاليين اللذين أعرفهم إقناعي بتغيير الاسم وعرضوا علي مجموعة من الأسماء الإيطالية: أليساندرو، فرانشيسكو (...) وغيرها من الأسماء لكنّي رفضت رفضا مطلقا»، إنّ هذا الرفض المطلق، من طرف"عبد الله بن قدور" لتغيير اسمه هو رفض لطمس الهوية وفقدان الذات.

وفي مقابل هذا الحرص الشديد الذي يوليه"عبد الله بن قدور" في الحفاظ على اسمه نجد "أمديو" الذي يتخلى عنه بكل سهولة، وكأنّه مجرد لباس قام بارتدائه وعندما ملّ منه أراد أن يرميه ويتخلص منه نهائيا «سألني ساندرو عن اسمي، قلت له: أحمد، فنطق اسمي دون حرف الحاء أي أمد لأنّ الأبجدية الإيطالية لا تتوفر على هذا الحرف، في النهاية ناداني باسم "أمديو" وهو اسم إيطالي ويمكن أن يختصر إلى "أمد" بحذف الحرفين الآخرين»[1].

إذا من عادات الإيطاليين حذف حرف أو حرفين من الاسم وهذا لا يحدث أي إشكال عندهم «ذلك أن القيم التي يؤكدها المجتمع تختلف بين الثقافات، والثقافة التي تشهد تصارعا تؤثر كثيرا في ضعف تكوين الهوية »[2]، إنّ التغيرات التي تطرأ على المهاجر في بلد غير بلده قد تؤدي إلى صراع داخلي يفضي به إلى أزمة نفسية وهواياته كما هو الحال مع "عبد الله بن قدور "« فقد عمد البعض إلى حيلة جد منتشرة في

[1]- المصدر السابق، ص113.

[2]- فريال حمود: مستويات تشكل الهوية الجامعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من الصف الأول الثانوي من الجنسين دراسة ميدانية في المدارس الثانوية في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد27، الملحق 2011، ص54.

روما وهي حذف الجزء الأول أو الجزء الثاني من الاسم فصرت أسمع من يناديني إما عبد أو الله! أستغفر ربي كثيرا لأّنه يغفر الذنوب جميعا ما عدى الشرك »[1].

إنّ حذف جزء من الاسم قد يؤدي إلى تغيير جذري لمعناه، بل قد يؤدي إلى الشرك بالله، وهذا ما يبرر تعصب هاتان الشخصيتان إقبال أمير الله، عبد الله بن قدور وحرصهما الشديد على تصحيح النطق باسميهما، لأنّ أيّ تغيير في حروف الاسم«غالبا ما يفضي إلى دلالة لفظية والتي بدورها تشير إلى الهوية الدينية»[2].

إنّ توظيف اسم "أحمد" في الرواية مثلا لم يكن اختيارها اعتباطيا، فهو يرمز إلى الشخص الذي يكثر من الحمد والثّناء والتقرّب إلى الله، كما يعدّ من أسماء الرسول "ﷺ"، فهو اسم مقدس يرمز إلى روح الانتماء والأصالة « اسمه الحقيقي أحمد وهو اسم عظيم لأنه اسم الرسول وقد ذكر في القرآن والإنجيل»[3].

كما «قد يتحوّل الاسم من مجرد خيار فردي جمالي إلى خيار أيدولوجي»[1]، فاسم "بهجة" في الرواية لا يمكن المرور عليه دون التوقف عند معناه الضمني، فقد تعدّى بعده الجمالي إلى بعد أيديولوجي؛ فاسم

3- عمارة لخوص : كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص129.

[2]- أحمد برقاوي: الاسم والهوية،البيان ،22مارس2015.

[3]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص129.

"بهجة"يرمز إلى الجزائر الخضراء –التي تبهج وتفرح كل من يزورها لذلك كثيرا ما يطلق على سكانها – أولاد البهجة –، والتي بدورها ترمز إلى الأصالة والانتماء «"بهجة" هو اسم يطلق على الجزائر العاصمة»[1].

6– المعتقد الديني:

تتعدّد الديانات السماوية وتختلف حول العالم؛ من مسيحية ،يهودية، وإسلام، إذ لكلّ دين مبادئ ومعتقدات مقدسة يقوم عليها، تجعله يتميز ويتفرد عن غيره، على سبيل المثال الدين الإسلامي هو دين التسامح والمحبة والسلام يقوم على أسس ومعتقدات معينة كالتوكل على الله وغيرها[2].

تعدّ رواية "عمارة لخوص" محل تلاقي مختلف الأديان التي تعبر عن التنوع الثقافي والإيديولوجي والهوياتي أيضا، وبالتالي سنسلط الضوء على بعض المقاطع التي تجسد هذا التنوع تقول "بندتا إسبوزتو": «أنا لا أخاف من بطش الآخرين ما دام القديس جنارو معي، ألم أطلق اسم القديس نابولي العظيم على ابني الوحيد جنارو! ألا يكفي هذا في البرهنة على الولاء له»[3]، فثقة "بندتا" بالقديس جنارو وعظمته هي في الحقيقة ثقة بهوتها وانتمائها، إذ يعد المعتقد الديني شكل من أشكال الهوية، وتأكيد "بندثا" على احترام

[1]– أحمد برقاوي: الاسم والهوية.

[2]– محمّد الضبع: الثقافة والهوية والتكنولوجيا،مكتبة الإسكندرية ،الإسكندرية ،دط ،دت ،ص21.

[3]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص ص37، 38.

ديانتها هو تأكيد لهويتها الدينية والشخصية أيضا «سأذهب إلى كنيسة دومينيكو في نابولي لأصلي من أجل سلامة السينيور أمديو»[1].

فكما ذكرنا سابقا لكل دين معتقداته الخاصة به « فالعودة إلى الدين والتمسك بالهوية الدينية هو السبيل لتمايز هذه الأمة عن غيرها من الأمم»[2]، فلا يمكننا إقصاء الدين أو العيش من دون الامتثال لتعاليمه لأنّه جزء أساسي في تكوين هويتنا، ومن المواقف التي تبرز لنا قوة التمسك بالهوية الدينية شخصية "إقبال أمير الله" الذي يقول: «لا البنغاليون لا يرسلون زوجاتهم إلى المدارس لأن الإسلام يحرم علينا الاختلاط»[3]، فتعصب"إقبال أمير الله" لدينه هو تعصب ضد الآخر الذي يناقضه في المعتقدات والاتجاهات، فهو مسلم محافظ له أفكار يؤمن بها، وتعاليم دينية عليه الالتزام بها، ومنها "تحريم الاختلاط" وما ذكر"إقبال أمير الله" لكلمة "البنغاليون"إلاّ تأكيد لهويته، فرغم تواجده في بلد غير بلده، إلا أنّه لم يستطع محو هويته الدينية، فللمعتقد الديني دور كبير في بلورة هذا الانتماء.

كما نجد بعض شخصيات الرواية تُبدي حفاظها على بعض الأمور التي نهانا ديننا الإسلامي بالابتعاد عنها، ف"عبد الله قدور" لا يريد أن يكون ولدا عاقًّا «لا أريد أن أعصي والدي منحني الاسم والله تعالى نهى عن عقوق الوالدين وهي من الكبائر كالقتل والزنا وشهادة الزور وأكل مال اليتيم »[4]،

---

[1]- المصدر السابق، ص44.

[2]- عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع «دراسة في الفكر العربي المعاصر» ، ص29.

[3]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص60.

[4]- المصدر نفسه: ص129.

فالدين الإسلامي قدّس الوالدين وجعل لهما مكانة رفيعة، وبالتالي يأبى "عبد الله بن قدور" تغيير اسمه الذي ينتمي بالدرجة الأولى لوالده، لأنّ مجرد التفكير في هذا الأمر يجعل منه ولدا عاقا، وهنا تظهر صورة المسلم الحقيقي الذي يرى «أنه لا انتماء إلّا الدين ولا هوية إلّا الإسلام»[1].

7- التاريـخ:

يُعدّ التاريخ من أهم السمات التي تُعزّز الهوية الشخصية لدى الفرد، فالتاريخ هو الماضي والحاضر والمستقبل، فهوية الفرد مرتبة ارتباطا وثيقا بالتاريخ، هذا الأخير الذي يربط بين جماعة معينة ويجعلها تختلف عن الجماعات الأخرى « إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها ،و يبرز تاريخ الجماعة وآثاره في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعة وأساطيرها وحكاياتها، وينطوي ذلك التاريخ أيضا على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة أبطالها التاريخيين»[2].

يلعب التاريخ دورا فعالا في تعزيز وتقوية الإحساس بالهوية، وله أشكال مختلفة مثل التقاليد والأساطير والحكايات،...إلخ، لقد كان لحضور التاريخ نصيب معتبر في رواية "عمارة لخوص" وذلك من خلال استذكار بعض الأحداث التاريخية وبعض الأبطال الذي يشهد عليهم التاريخ، يذكر "بارويز" «لم يخطر ببالي

[1]- عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر»، ص78.

[2]- اليكس ميكشيللي: الهوية، ص12.

أبدا ترك روما، أثناء الحرب مع العراق حاربت في الصفوف الأولية ،جرحت أكثر من مرة ثم كيف أتخلى عن زوجي ومطعمي وشيراز، إذا لم يكن السبب هو الهروب من الموت»[1].

يستعيد" بارويز" الأحداث التاريخية التي تشهد على بأسه وشجاعته من أجل الدفاع عن وطنه، فأثناء الحرب الضروس التي شنّتها العراق على إيران، لم يتردد "بارويز" في الدفاع عن بلده فقد حارب في الصفوف الأولى وجرح عدة مرات، وهو هنا يستعيد هذه الأحداث الماضية ليستعيد معها الهوية الإيرانية الضائعة، فلا الزمان ولا المكان من شأنه أن يمحي هذا التاريخ العريق من الذاكرة .

ومن المقاطع النصية الأخرى التي تحمل في طياتها شحنات تاريخية ما ذكره أمديو في قوله: «رحت أفكر في مصطلح "القابلية للاستعمار" للمفكر مالك بن نبي. هذه القابلية نتاج الخيانة الداخلية: خيانة الأخ لأخيه! اللعنة على الخائن بوكو الذي غدر بيوغورطا وكل من اقتدى به، والمجد والخلود لجدي يوغرطا»[2]، وهنا يقف "أمديو" عند ملك نوميديا يوغورطا الذي صنع جزءا عظيما من تاريخ شمال إفريقيا، ساخطا على "بوكوس" الذي غدر بيوغورطا بعدما أمّن له، ولهذا اعتبر"أمديو" هذا الفعل الشنيع بمثابة خيانة "الأخ" "لأخيه".

يعود "أمديو"إلى هذا التاريخ العريق لتكون وقفة مع ذاته الأصلية التي تعود به إلى جذوره الأولى والتي تثبت من دون أي شك هويته، قبل أن يكتسب ذاتاً جديدة لها أفكار ومعتقدات جديدة تؤمن بها، ففي

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص20.

[2]- المصدر نفسه، ص91.

ظل كل هذا التغير الذي طرأ على "أمديو" إلا أنّه هزم أمام "تاريخ" عريق لا يمكنه تجاهله، وبقوله "المجد والخلود لجدي "يوغورطا" كأنّه يقول "المجد والخلود لبلدي الجزائر".

يُعدّ التاريخ المنطلق الأساسي الذي يساهم في تحديد هويتنا«هذا وقد يشتمل على صورة الحياة السياسية للجماعة وآثارها»[1]، ويتجلى هذا الأمر بوضوح في رواية"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"في أحد المقاطع النصية التي يقول فيها "أمديو": «ذات يوم ذهبت بهجة إلى بوفاريك لتزور أختها، في طريق عودتها أوقف الإرهابيون الحافلة في حاجز مزيف وأقدموا على ذبح كل المسافرين ما عدا الفتيات، حاولت بهجة الهروب من قبضة المجرمين والنجاة من الاغتصاب، فأطلقوا عليها وابلا من الرصاص»[2]. يشير هذا المقطع إلى فترة العشرية السوداء، وما كانت تمارسه الجماعات الإرهابية من جرائم بشعة من قتل وذبح واغتصاب للنساء، هذه الجماعات التي كانت تحركها رؤوس بارزة في السلطة الحاكمة.

رابعا– الهوية وسياسة الرفض:

يُعتبر "هيغل" من أبرز النقاد الذين تطرقوا إلى مصطلح "سياسة الرفض"، هذا المصطلح الذي يرتبط ارتباطًا وثيقا بالعقل «فقد جعل من العقل قوة ثورية بفضل قدرته على السلب والرفض، ففكرة السلب هي الأساس التي تقوم عليها جدلية "هيغل"، فهي القوة المحركة فيه، الذي تتم على أنّها رفض وإنكار لما هو

[1]– اليكس ميكشيللي: الهوية، ص12.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص131.

قائم، فكل شيء حسب "هيغل" يحمل في داخله نقيضه ويحمل في ثناياه عوامل رفضه والثورة عليه بغية تجاوزه»[1].

وقد تجلّت سياسة الرفض في رواية "عمارة لخوص" من خلال صورة المهاجر الذي يتلقى دائما رفضا من طرف الآخر المغاير، فمعظم البلدان الأوروبية ترفض المهاجر حتى أنّها تقوم في أحيان كثيرة بإلحاق الأذى به قولا وفعلا ما يجعله يعيش معاناة حقيقية في ظل عدم احترام الثقافات واختلاف الأديان، وهذا ما ظهر جليا في الرواية من خلال قول "الغلادياتور" لأحد المهاجرين « لو قلت لي مرة أخرى سأبول في فمك، أنت في بلدي لا حقّ لك في الكلام، هل فهمت أيّها الإيطالي الحقير، إيطاليا للإيطاليين، إيطاليا للإيطاليين، إيطاليا للإيطاليين»[2].

يحتقر"الغلادياتور" المهاجرين ويرفضهم بشدة، إذ ينعتهم بالأجانب والغرباء، ويؤكد على هذا الرفض والنبذ بقوله أنّ "إيطاليا للإيطاليين" فهنا إشارة لرفض الوضع القائم في إيطاليا التي تستقطب« مختلف البلدان والسبب وراء ذلك أنهّ كانت بها فرص كثيرة للعمل على خلاف أماكن أخرى في القارة الأوروبية»[3]. وفي ظل وجود هذا الإقبال الهائل للمهاجرين على هذا البلد -إيطاليا- ما جعل السكان

[1]-هربرت ماركيوز: العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، تر:فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، دط، 1970م، ص8.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص22.

[3]- ستيفن كاستلز، مارك ميللر: عصر الهجرة، تر، منى الدروبي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2013، 1993، ص547.

الأصليين يثورون على هذا الوضع الذي سلب منهم حقوق كثيرة، فهم يدعون إلى التغيير بطريقة غير مباشرة «فالوضع القائم لأي شيء هو وضع ناقص»[1].

أي أنّ الواقع في أصله هو وضع زائف وغير حقيقي، ولذلك نجد أن" "هيجل" يشجع على الثورة على كل ما هو موجود. ولتحقيق الوجود الفعلي حسب النماذج الموجودة في روايتنا، فإنّ الأمر يتطلب التخلص من القوانين التي تحمي المهاجر، وتعطيه الحق في العمل وغيرها من الحقوق التي تجعله يتساوى مع أصحاب البلد الأصلي.

هذا وقد تقاطع مصطلح "سياسة الرفض" لصاحبه"هيجل" بصيغة أخرى عند"ماركيوز" في مصطلحه "سياسة النفي"، إذ أثبت "ماركيوز" من خلال فلسفته أنّ المهمة الكبرى للفكر أو العقل هي الثورة على كل ما هو موجود، وهو بهذا يتقاطع من جهة أخرى مع ما ذهب إليه " فيورباخ" في قوله « عندما تريد الإنسانية وضع أسس لعصر جديد يجب قطع صلاتها بالماضي قطعا باتا»[2].

يتجسّد هذا المفهوم – سياسة النفي- في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك "من خلال موقف "بندتا" من النفي الكلي لما هو موجود فهي تشكو من كلّ شيء؛ من البطالة من المهاجرين ، ومن

[1]- هربرت ماركيوز: العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، ص10.

[2]- فؤاد زكريا: هربرت ماركيوز، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م، ص30.

الحكومة حيث تقول: «أنا لست عنصرية لكن هذه هي الحقيقة، ثم لماذا يأتون إلى إيطاليا، البطالة منتشرة بكثرة عندنا لا يزال ابني جنارو عاطلا عن العمل»[1].

وهنا تسلّط "بندتا" الضوء على قضية اجتماعية مهمة ألا وهي البطالة، والتي يرجع السبب الحقيقي في انتشارها- في رأيها- إلى المهاجرين الذين استحوذوا على كل فرص العمل على حساب السكان الأصليين، وهي تقول في موضع آخر من الرواية «ما أكثر الشبان الإيطاليين الذين لا يجدون عملا شريفا، فهم مجبرون على السرقة، والكسب الغير المشروع، يجب طرد العمال المهاجرين وتعويضهم بأبنائنا المساكين»[2].من خلال هذا المقطع يتجلى لنا ثورة "بندتا" على القوانين التي وضعتها الحكومة الإيطالية لصالح استقطاب المهاجرين على حساب تقصير واضح في منح الإيطاليين حقوقهم في بلدهم، فهي هنا ترفض الواقع المعاش رفضا باتًّا، وتدعوا بطريقة رمزية إلى التغيير عن طريق رفض المهاجرين الذين تسبب وجودهم في انحراف أبناء إيطاليا المساكين كما تنعتهم، وذلك بلجوئهم إلى أعمال غير مشروعة كالنّهب والسرقة والسطو على الغير.

ومن خلال الموقف السلبي ل "بندتا" اتجاه المهاجرين، يتجلى لنا صورة المهاجر المغترب ومعاناته بتعرضه للعنف اللفظي، والمعنوي من طرف المواطن الأصلي أو الآخر العنصري الذي لا يعترف بالهوية الفردية «والحق أنّ المآسي التي يتعرض لها المهاجرين الغير شرعيين كثيرة ومتنوعة، وهي تبدأ من اللحظة التي

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص37.

[2]- المصدر نفسه، ص38.

يحاول فيها هؤلاء المساكين ركوب البحر في زوارق خارج نطاق الخدمة أي غير صالحة للاستعمال وركوبه في حد ذاته مغامرة غير محسوبة»[1].

تبدأ مغامرة ومعاناة المهاجر إذا من الوهلة الأولى التي يركب فيها الزوارق التي نسميها بزوارق الموت لأنّها لاضمان في وصول ركابها أحياء فما بالك بمصيرهم عند وصولهم إلى بلد الغربة والاختلاط مع مختلف الأجناس، وهنا تبدأ معاناة المهاجر مع الآخر من خلال سياسة الرفض، تقول بندتا «أتساءل عن مصير الضرائب، التي ندفعها للدولة أليس لحمايتنا من هؤلاء المنحرفين ؟ لماذا لا يزجون بإقبال والألباني وبقية المهاجرين المنحرفين في السجون يجب أن يطردونهم من البلد أنا لا أطيق رؤية الخادمة الفلبينية ماريا كريستينا»[2].

يتجلّى لنا من خلال المقطع النصي السابق أنّ "بندتا" تكن كل مشاعر الكره والحقد للمهاجرين وتتمنى أن لا يبقى أحد منهم في بلدها، بل تدعو وبشدة إلى مغادرتهم، وتؤكّد على هذا الأمر باتهامهم بالانحراف والأكثر من هذا اتهامهم بارتكاب جريمة قتل، حيث تقول «أنا متأكدة من أن قاتل الشاب لورانزو ما نفريدي هو واحد من المهاجرين»[3].

[1]- سعيد اللاّوندي: الموسوعة السياسية للشباب، الهجرة غير الشرعية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، يوليو2017، ص61.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص39.

[3]- المصدر نفسه، ص40.

لم تكن "بندتا"الإيطالية الوحيدة التي تمقت المهاجرين إذ نجد "إلزابتا فابياني" تتّخذ نفس الموقف اتجاههم، فهي تقول: «لا نحتاج إلى المهاجرين نعلمهم الإيطالية ونمنحهم السكن والعمل ثم نجدهم يتاجرون في المخدرات ويغتصبون بناتنا، هذا غير معقول على الإطلاق!»[1].

يُقدّم الآخر على إلحاق ضرر نفسي بالمهاجر ينجم عنه فقدانه لثقته بنفسه، بسبب الاحتقار الاجتماعي الذي يتعرض له، في ظل فقدان الأمن والأمان، وغياب القدرة على الاندماج في البلد الغربي الذي أصبح يعيش فيه، تقول "إلزابتا" في موقف آخر: «الحقيقة أنّنا لسنا بحاجة إلى المهاجرين، سمعت من يقول أنّ الاقتصاد الإيطالي معرض للانهيار إذا غاب المهاجرون!، هذه كذبة ينشرها الشيوعيون. نستطيع الاستغناء عن المهاجرين بسهولة، يكفي أن ندرب كلابنا تدريبا جيدا»[2]، فمكانة المهاجرين في نظر"إلزابتا" تضاهي مكانة الكلاب، إذ يكفي أن نستبدل المهاجر بالكلب، فما أبشع هذه المقارنة! وهذا الاحتقار الذي يخلف في نفس المهاجر اضطرابات نفسية قد تؤّدي في بعض الأحيان إلى ما لا يحمد عقباه.

لم يقتصر رفض المهاجرين من طرف السكان الإيطاليين فحسب، بل تعداه ليشمل الحكومة الإيطالية، بكل ما كانت تسلطه عليهم من قوانين هي في نظر الإيطاليين ظلم وقمع لهم، تقول "إلزابتا":

[1]- المصدر السابق، ص65.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

«ألست مواطنة إيطالية صالحة؟! ألا أدفع الضرائب بأمانة وفي وقتها المحدد؟! أليس من حقي المطالبة بحقوقي التي يكفلها الدستور ؟!»[1].

إنّ موقف "إلزابتا"من الحكومة الإيطالية، ما هو في الحقيقة إلاّ صرخة مواطنة موجهة إلى رموز النظام، فهذه المواطنة تريد مزيدا من الديمقراطية لمحاصرة البطالة، وتحسين ظروف المعيشة، لمحاربة الفقر والظلم، لأنّ الحكومة الإيطالية في نظرها حكومة ظالمة.لذلك فهي تدعوها إلى إعادة النظام القائم، وإعطاء حلول من شأنها أن تغير نظرتها للقوانين التي تفرضها سواء على السكان الأصليين، أو على المهاجرين.

يمكن للمهاجرين الهامشيين أن يرتقوا بدورهم في المجتمع من خلال نضالهم وإسماع صوتهم للآخر، فهم يحلمون باليوم الذي تتحسن فيه أوضاعهم وتتحقق فيه أهدافهم، لذلك كانت« تشهد ساحة فيتوريو من حين لآخر مسيرات للمطالبة بحقوق المهاجرين: الحق في العمل، الحق في السكن، الحق في الصحة، الحق في الانتخابات.....الخ»[2]، وحسب ماركيوز: « ذلك اليوم لا يزال ممكن، ولكن الكفاح اللازم لبلوغ هذا الهدف، لا يمكن إلا بعد أن يخضع للقوانين والقواعد التي زينت بها الديمقراطية في العالم الحر».[3]

من المؤسف أنّ الإيطالي بتفتحه ورقيه يحمل أفكارا سلبية اتجاه المهاجرين، إذ لابُدّ له من الاحتكاك بهم لمعرفة الجيد من السيئ، فليس كل مهاجر منحرف أو مجرم، فهذه الأحكام المسبقة قد تؤدي لاستبعاد

[1]- المصدر السابق، ص62.

[2]- المصدر نفسه، ص64.

[3]- هربرت ماركيوز: نحو ثورة جديدة، تر، عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص15.

الفرد من دائرة المجتمع، ممّا يؤدي إلى تحطيم ذاته، وعجزه عن تكوين هويته، فرفض الآخر له هو رفض لتعدّد الثقافات والمعتقدات وتصارع الديانات.

قد يفضي رفض الاعتراف بالآخر وإنكاره إلى تفكك المجتمعات، وتوتر العلاقات بين أفراده، بالإضافة إلى انعدام الهوية التي يسعى كل فرد إلى تكوينها والمحافظة عليها. وفي ظل هذا الرفض القائم للمهاجرين، ظهر تشريع بالاعتراف به، واحترام قانون الاختلاف إذ « بعد صدور نظرية العدالة لجول رويس (1971) شهد المجال السياسي والمدني الأنغلوسكسوني حراكا عمليا مداره تشريع حقوق الاعتراف بالاختلاف الثقافي والغربي والديني »[1]. لكن بالرغم من صدور هذا التشريع، إلا أنهّ من العسير القضاء على العنصرية بشكل نهائي في هذا البلد الذي يعرف بتنوع الثقافات وتصارع الأديان فيه.

من خلال كل ما سبق نتأكد أنّ رفض الاعتراف بخصوصية ثقافة الآخرين، من حيث أنّها ضرورة من ضروريات التعايش لا يتحقق بسهولة « فمشكلة الأقليات إذن بالدرجة الأولى مشكلة الأغلبية، أي مشكلة المجتمع ذاته»[2].

نخلص في الأخير إلى أنّ الهوية تتشكل من خلال الاعتراف بالآخر، فإن غاب ذلك فسيكون قمعا لمشاعره وهويته، إذ لا بدّ من الإيمان بتعدد الثقافات داخل المجتمع الواحد، خاصة وأنّ رواية —كيف

[1]– مصطفى بن تمسك: الهوية والاعتراف في الفضاء الأنغلوسكسوني، مجلة حكمة، 2012/05/15.

[2]– برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط3، كانون الثاني، يناير، 2012، ص38.

ترضع من الذئبة دون أن تعضك- تعرض روما نموذجا لأكبر الدول الأوروبية التي تشهد تعددا ثقافيا ودينيا.

خامسا- الهوية وسياسة الاغتراب:

يُعدّ الاغتراب مشكلة من مشكلات الهوية، فقد حظي هذا المصطلح باهتمام الفلاسفة منذ هيجل وماركس وصولا إلى الفلاسفة المعاصرين من أمثال"سارتر" و"ياسبرز" هذا «وقد تتحول الهوية إلى اغتراب، تنقسم الذات على نفسها وتتحول مما ينبغي أن يكون إلى ما هو كائن، من إمكانية الحرية الداخلية إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية»[1].

قد يكون الاغتراب كرهًا على الذات وليس طوعًا، وذلك لتغير مجرى الحياة، حيث تجد الذات نفسها في عالم جديد وثقافة جديدة. ورغم أنّ الاغتراب من أكثر الأمور الصعبة التي يمكن أن تكابدها الذات، إلا أنّه في بعض الأحيان قد يكون أمل الكثير من الشبان والفتيات، نظرا للظروف التي يمرون بها، فقد يكون اللّجوء إلى حياة جديدة في عالم جديد أو ثقافة جديدة، هو في الحقيقة منفذا وحيدا للهروب من مشنقة الموت أو الفقر، وغيرها من الظروف القاسية التي قد تمر بها الذات في رحلة الحياة.

تُعدّ رواية "عمارة لخوص" بمثابة ترجمة لحياة المهاجر، وما يمر به المغترب في بلاد الغربة من ظروف صعبة يكابد فيها الأمرّين ، خاصة إذا ما كان حل الهجرة هو المنفذ الوحيد الذي تلجأ إليه شخصيات الرواية من أجل حماية نفسها، فشخصية "بارويز" خير مثال للمهاجر المغترب، الذي فرّ من بلده هروبا من

[1]- حسن حنفي حسنين: الهوية، ص24.

الموت الذي كان يهدده «كنت في الأعلى في الجنة في شيراز سعيد مع زوجتي وأولادي، أمّا الآن فأنا هنا في أسفل المستنقع (...) في الجحيم أقاسي حرقة الحنين والفراق»[1]، "فبارويز" هنا يعاني من غصة كبيرة تخترق صدره، وذلك لبعد المسافات التي تفصل بينه وبين أحبائه ووطنه الذي كان يحتضنه بترابه الطاهر الذي وصفه "بالجنة".

يقصد بالاغتراب – والتغرب والغربة– إذا البعد والافتراق عن مكان معين والشوق إليه والحنين إلى كل الذكريات الجميلة التي قضاها المرء فيه، شوق للعائلة ولقاء الأحبة، يقول "بارويز": «عندما أتذكر أطفالي الصغار شادي وسعيد وصهراب وزوجتي زينب. أحزن كثيرا. أقول في نفسي: أين هم الآن، لا شك أنهم مشردون في مكان ما»[2]. يقاسي الإنسان كثيرا عندما يترك المكان الذي ولد وترعرع فيه، وعاش أجمل الذكريات فيه، فها هو "بارويز"يتألم من قسوة بعده عن عائلته، فهو يعيش وحدة قاتلة موحشة بعيدا عن فلذات كبده الذين يتذكر أسماءهم بحرقة شديدة، وبعيدا عن وطنه الذي غادره هروبا من مشنقة الموت، آملا في الرجوع إليهم وإليه ذات يوم.

قد يُصاب الإنسان في مثل هذه التجارب الحياتية بالإحباط « والإحباط عكس التحقق، وضعف الإرادة، وخيبة الأمل، وتخل عن الحرية. تشعر بالحزن دون معرفة السبب، وتشعر باليأس والشقاء»[3]. فقد يؤدي الاغتراب لانعدام الحرية وضياع الإحساس بالأمان، وفقدان الثقة بالنّفس،كما قد يؤدي –في بعض

[1]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص14.

[2]– المصدر نفسه، ص 24.

[3]– حسن حنفي حسنين: الهوية، ص24.

الأحيان-إلى الرضوخ للآخر فما «دام المغترب يلهث وراء المادة فعليه أن يتحلى بكل الصفات الحسنة والخضوع للآخرين ودلق اللسان المعسول بغية نيل رضاهم وأمن غضبهم»[1].

إنّ الخوف من الرجوع إلى نقطة الصفر أو البداية تجعل المهاجر يشعر دائما بخطر الزج به إلى وطنه الأصلي، الذي يعد أكبر خيبة أمل بالنسبة له، ما يؤدي به في أحيان كثيرة إلى السكوت عن الظلم بالخضوع للآخر، وتعد "ماريا كرستينا" مثال حي على ذلك. « أنا أخاف من البوابة لأنها قد تبلغ الشرطة، أنا لا أملك وثيقة إقامة، فلو وقعت في يد قوات الأمن فإنهم لن يرحموني، في رمش العين أجد نفسي في مطار ليما»[2].

فقد اتخذت "ماريا كريستينا" من سياسة الصمت واللامبالاة سلاحا لها لمقاومة ظلم وطغيان الآخر الظالم والمستبد، وذلك خوفا من العودة إلى وطنها، وبالتالي تلاشي أحلامها، لكنّ هذا السكوت في بعض الأحيان قد يكون بمثابة موت بطيء، فالخوف الشديد ل"ماريا"جعلها فريسة تغتصب يوميا من طرف "الغلادياتور الحقير"، يقول "ماورو بيتاريني"*: «... اغتصب الخادمة ماريا كريستينا أكثر من مرة ولم تجرأ على إبلاغ الشرطة خوفا من الطرد لأنها لا تملك وثيقة الإقامة»[3].

---

[1]- طالب ياسين، التحليل الاجتماعي والنفسي لأحوال المغتربين وأحوالهم المكتبة الوطنية، عمان ،ط1، 1437هـ، 1996م، ص17.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص76.

*ماوروبيتاريني: هو أحد أصدقاء أمديو يعمل ضابطا في الشرطة مكلف بالتحقيق في جريمة قتل شخصية"الغلادياتور"، هذه الجريمة التي اتهم بها "أحمد سالمي" المدعو "أمديو" ، والذي تمت تبرئته منها فيما بعد.

[3]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص147.

كما قد يكون الاغتراب في صور من صوره عجز عن تحديد الهوية، من حيث أنّ «الهوية إذا ليست شيء معطى بل هي شيء يخلف، لا يشعر بها كل إنسان كوعي مباشر، فالإنسان اليومي يوجد أوّلاً، يعيش أولًا ثم يعي ذاته ثانيا. يأتي الوعي الذاتي بعد الوجود البدني ،ثم يأتي الوعي بالعالم المحيط .وينشأ التساؤل عن الهوية :من هو؟ لماذا هو في هذا الوضع الاجتماعي؟»[1].

يعاني "أمديو"من تواجده في مجتمع لا يساعده في فهم ماهيته، ما أفضى إلى وجود مشكلة هوياتية حقيقية، وقد انعكست هذه المشكلة في بعض مواقف "أمديو" –في الرواية–والتي جعلته يتساءل «هل أنا لقيط؟ مثل التوأمين روموولو أم ابن بالتبني»[2]، يجد المغترب نفسه في أحيان كثيرة مثل اللقيط الذي لا أصل له ولا نسب، يجد نفسه غير قادر على تحديد هويته، حيث نجد "أمديو" تائها أمام هذه المعضلة، ما دفع به إلى الدعوة إلى التحرر من هذه الأسئلة المتعلقة بماهية أناه والتي يعتبرها قيودا مكبلة لحريته« ما أجمل أن نتحرر من قيود الهوية التي تقودنا إلى الهاوية من أنا؟ من هو ؟ من أنت؟ من أنتم؟ يا لها من أسئلة تافهة»[3].

يعجز "أمديو"إذا عن تحديد هويته، وهو في الحقيقة عجز عن وعيه لذاته، ولوجوده الاجتماعي وهذا يؤكده قول "بول جودمان" على «أن أزمة الهوية تنشأ من خلال إحساس الشباب في الضياع في مجتمع لا

[1]– حسن حنفي حسنين: الهوية، ص23.

[2]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 115.

[3]– المصدر نفسه، ص12.

يسعى في فهم من هو؟ بتحديد دوره في الحياة»[1]، فإن أخفق الفرد في تحديد هويته فلن يستطيع أن يحدد دوره في الحياة وهذا ما يجعله يعيش في دوامة الجهل بجوهر ذاته، ذلك أن موضوع الهوية هو موضوع إنساني بامتياز، إذ يقول أمديو: « هل أنا شهرزاد؟ هي تحكي وأنا أعوي بلا ملل (...) من أنا؟ أحمد؟ أمديو؟»[2].

نجد أنّ "أمديو" يعيش حالة من الضياع والتخبّط أمام هذه الأسئلة الحرجة التي لا يستطيع الإجابة عنها، فهو يعيش في مستنقع من الفوضى، إذ لا يمكنه أن يتجاوز هذه الأسئلة المقلقة لأنّه على وعي تام بأنّه بالإجابة عنها يستطيع أن يحدد بعض ملامح هويته.

قد يؤدي الاغتراب في جانب منه «إلى تدمير الذات من خلال الإدمان على المخدرات والاسترسال في إتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وكذا الإنفاق من غير حاجة وتبديد الطاقة في غير ضرورة، كما يدمر الآخر عن طريق التمرد على القيم والعنف اللفظي والجسدي»[3]، للاغتراب إذا عواقب وخيمة تصل إلى حد إلحاق الأذى بالنفس والغير، فقد ينتحل المغترب اسما جديدا ليرتكب ما يحلو له من الجرائم متسترا وراء هوية أخرى « من عادة المهاجر المنحرف تغيير وانتحال هوية مزيفة»[4]، فالكثير من المهاجرين يعانون

[1]- مُحَمَّد نوري محمود: أزمة الهوية لدى طلبة المرحلة الإعدادية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد الحادي والثلاثون، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ص4.

[2]-عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص150.

[3]- جابر نصر الدّين، غسيري يمينه: مشكلات الشباب في المجتمع بين أزمة الهوية والمعيارية، نظرة شخصية نفسية، اجتماعية، مخبر الدراسات النفسية الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، ص14.

[4]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص144.

من أزمة البطالة، حيث يرفض تشغيلهم في أي قطاع مما يؤدي بهم إلى الانحراف، وارتكاب الفواحش لتأمين لقمة العيش.

هذا وينعكس فقدان الهوية إلى اللجوء إلى العنف الجسدي من خلال ممارسة الجنس، الذي يعده البعض متنفسا يفرغون فيه كل الشحنات السلبية التي بداخلهم، تقول "ماريا كريستينا": « أما أنا فأبتعد في هدوء وصمت عن الأنظار وتحت جنح الظلام أختلي بشاب يشبهني في كل شيء، يفرغ كل واحد منا شهوته وقلقه وخوفه وحزنه وغضبه في جسد الآخر»[1].

لقد وجدت "ماريا" ضالتها في هذا الشاب الغريب الذي لا تعرفه إطلاقا، وكأنّها تفرغ هويتها في هوية أخرى آملة في الولادة من جديد، بغية نسيان الألم والخوف الذين تعيشهما، فالحل الذي لجأت إليه "ماريا كريستينا" ما هو إلاّ تخدير مؤقت للمشاعر السلبية التي تعتريها، فالهروب من هذا الواقع بهذا الشكل ما هو إلّا «ضعف على ضعف وانكسار على انكسار وانفعال تحت فعل، قد ينتهز الفرصة للانتقام إذا ما حانت ويتحول من مفعول إلى فاعل ومن منكسر إلى منتصر»[2]، فغالبا ما تخوض الذات مغامرات كبرى تشعرها بالقوة المطلقة وكأنّها في جولة مصارعة والبقاء يكون فيها للأقوى، لكن هذه القوة التي تشعر بها الذات ما هي إلا صيغة أخرى للضعف والانكسار.

[1]- المصدر السابق، ص75.

[2]- حسن حنفي حسنين: الهوية، ص27.

كما يعدّ الاكتئاب من أشدّ أزمات الهوية الشخصية التي قد تصيب المغتربين، فقد تؤدي إلى لجوء المصاب –في بعض الأحيان–إلى الطبيب للحد من هذا المرض، الذي بات شبحا يطارد العديد من المهاجرين «أبكي كثيرا، وأشرب أكثر لأنسى المصائب التي حلت بي، تعودت على الجلوس يوميا قرب النافورة المقابلة لمدخل كنيسة ساحة سانتا ماريا ماجوري إما لإعطاء الأكل للحمام والبكاء»[1]. إنّ الاكتئاب الذي يعاني منه "بارويز" كدّر حياته ونغص عيشته، فعزاؤه الوحيد هو شرب الخمر وإطعام الحمام «فالاكتئاب حالة تصاحب الفرد بشكل دائم، فتؤدي به إلى معاناة من مرارة الألم (....) فإن عانى الفرد من الاكتئاب سينحدر أسفل وأسفل مع كل تجربة سلبية وبالتالي يميل المزاج السوي نحو السلبي أكثر منه إلى الإيجابي»[2].

فالاكتئاب إذا من أكثر الأسباب التي قد تؤدي بالفرد إلى سلوكات غير سويّة، والتي قد تنعكس بشكل سلبي على الذات، وهذا ما لمسناه في الرواية من خلال شخصية "ماريا كريستينا"، التي تقول: «....أستعين بزجاجات البيرة وأستنجد بمشروب "بيسكو الكحولي"، لصد هجمات الحزن. أشرب كثيرا لأنسى العالم وما فيه»[3]، فقد تكون المشاعر الرقيقة التي تتميز بها المرأة هي نقطة الضعف التي تجعلها

[1]– المرجع السابق، ص24.

[2]– كارين ك:بريبس: الاكتئاب، نصائح مطمئنة لمساعدتك على العودة لطبيعتك مرة أخرى، مكتبة الشقري، المملكة العربية السعودية ، الرياض، دط، 1441هـ، 2010م، ص22.

[3]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص ص74، 75.

تستسلم لأحاسيسها إذ يرى «الأطباء الرجال أنّ المرأة أكثر عرضة للاكتئاب من الرجال، لذلك يشخصون إصابتهن بالاكتئاب أكثر من الرجال»[1].

وفي مقابل هذه الحالات النفسية التي عايشها–وما يزال يعايشها– المغترب والتي تسبّبت في انحرافه أو مرضه ، أو إقدامه على تجاوزات أخلاقية يتناسى بها آلامه وأحزانه، توجد أشياء إيجابية استعان بها المغترب لمواجهة وحدته وتعقيدات حياته « إذ يقول مُحَمَّد راضي: وثمّة وسائل يلجأ إليها للتغلب على عزلته منها الحب والصداقة والفن»[2].

فإذا غُمر الإنسان بالحب والاهتمام فإنّ ذلك سيخفّف من ألمه، ويشعره بالراحة والهدوء والسعادة؛ فالحب هنا بمثابة مهدئ فعال لكل ما يعيشه المغترب من انطواء وعزلة، إذ يقول "أمديو": «ستيفانيا هي الحياة، أي الحاضر والمستقبل أحب ستيفانيا لأنها متعلقة بالحياة»[3]، وهنا يكون الحب هو الشمعة التي أنارت طريق "أمديو" المظلم، وهو الذي جعله يخرج من مآسي ماضيه، فقد عوضه بكل ما هو خير، فتعلق "أمديو" بحبيبته "ستيفانيا" هو في الحقيقة تعلقا بذاته.

هذا وقد كانت لعاطفة الصداقة حضور ملفت في رواية "عمارة لخوص" إذ كان لها تأثير بالغ في نفسية بعض المغتربين، فقد تكون المخالطات الاجتماعية والعلاقات الحميمية بالنسبة للفرد رابط قوي يجعله

[1]– كوام مكنري: الاكتئاب، تر: زينب منعم، دار المؤلف، الرياض، ط1، 1434هـ، 2013م، ص103.

[2]– مُحَمَّد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد) ، دراسة من منشورات اتحاد العرب، دط، 1990، ص17.

[3]–عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص125.

يتمسك أكثر بالحياة. فلقد لعب حضور "أمديو" في رواية "عمارة لخوص" دورا مهما في حياة بعض المغتربين «إذا لم يرجع أمديو في الأيام القليلة القادمة فإني سأهجر روما ولن أعود إليها أبدا، أيها السادة روما دون "أمديو" لا تساوي شيئا، "أمديو" هو الملح الذي يعطي لطعامنا المذاق الطيب»[1]، فوجود "أمديو" في حياة "بارويز" كان سببا رئيسيا في بقائه في "روما"، وتعلقه ب"أمديو" هو تعلق بالحياة نفسها، فالصداقة واحد من أهم الاحتياجات الأساسية التي يحتاجها الفرد خاصة في غربته وبعده عن أحبائه.

كما تذكر "ستيفانيا" موضحة علاقتها ب"أمديو" «.....إنه الوحيد الذي يسألني عن حالي أحكي له وأبكي في حضنه»[2].لقد كان "أمديو" بمثابة الأب المفقود "ماريا"، فهو الذي يعطف عليها، ويتابع أحوالها، وهو الوحيد الصادق في مشاعره اتجاهها. لذلك خلّف اختفاءه المفاجئ فجوة كبيرة وحالات فقد وحنين، وتشتت في ذوات الأفراد المحيطة به، والتي كانت تربطه بهم علاقة طيبة، فقد كان "أمديو" فسحة أمل للكثيرين.

كما نلاحظ أنّ بعض المغتربين يعيشون حياتهم بشكل غير طبيعي، أو ما يطلق عليه بانفصام الشخصية، والتي من شأنها أن تؤثر في سلوكات الفرد اليومية « فلا هو يستطيع أن يكسب هوية جديدة

[1]- المصدر السابق، ص26.

[2]- المصدر نفسه، ص ص73، 74.

من بلد الهجرة ولا هو يستطيع أن ينسى هويته السابقة، البلد المهجور. ويظل يعيش مع مواطنيه الأصليين، يسكن معهم وفي أحيائهم، يتناول مأكولاتهم الشعبية، ويتحدث لغته الوطنية »[1].

فنجد أنّ بعض المغتربين يعانون من تعقّد اندماجهم في المجتمعات الجديدة، وهنا يقع المغترب في صراع مع الهوية بين التأصيل والتجديد، يقول "أمديو" متحدثا عن صديقه بارويز: « بالنسبة لبارويز الطبخ الإيراني بتوابله وروائحه هو ما تبقى من الذاكرة بل أنّها الذاكرة والحنين ورائحة الأحبة معا (...) عجيب أمر بارويز، لا يعيش في روما دائما في شيراز»[2].

فبارويز يمثل هويته من خلال الأطباق التقليدية الشعبية التي كانت تقدم في إيران رغم وجود تيار آخر يناقضه في ثقافته الشعبية، هذا وتذكر "ستفانيا" في موضع آخر متحدثة عن المهاجرين البنغاليين « الرجال منغلقون بشكل فظيع، كأنّهم يعيشون في دكا، يأكلون الأرز ويلبسون اللباس البنغالي ويشاهدون الأفلام البنغالية على أشرطة الفيديو، غالبا ما أتساءل هل يعيشون حقا في روما؟»[3].

من خلال كل ما سبق نخلص إلى أنّ رواية "عمارة لخوص"قدمت لنا نماذج مختلفة تجسدت فيها معاناة المهاجر المغترب الذي يعيش حياة من الفوضى والتخبط داخل مجتمع غربي لا يرحم.

[1]- حسن حنفي حسنين: الهوية، ص28.

[2]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص17.

[3]- المصدر نفسه، ص123.

سادسا– الهوية بين الثابت والمتحول:

هناك مجموعة من المقدسات والثوابت التي تُبنى عليها الذات، وإلغاء أي واحد منها، هو إلغاء للهوية بحدّ ذاتها ما يشكل في النفس صراعا داخليا، بين الحفاظ على الثقافة الأصلية أو الانفتاح على ثقافة جديدة، قد تشكل خطرا على الهوية، ما يدفع في أغلب الأحيان إلى الانطواء والتقوقع حول الذات ورفض ثقافة الآخر الذي تعتبره الذات عدوا لها.

ناقشت رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك " موضوع الهوية من جوانب مختلفة؛ فتحدثت عن نكران الهوية من خلال شخصية "أمديو" والذي شكل في الحقيقة نكران الذات العربية ككل، فقد أحدثت "ستيفانيا" تحوّلا جذريا في هوية "أمديو" الشخصية والثقافية«.....تعلم الإيطالية من أجلي (...) سمى نفسه أمديو من أجلي باختصار صار إيطاليا لإسعادي»[1].

وهنا يتجلى لنا موقف "أمديو" من الآخر والذي انعكس من خلال الانبهار والإعجاب به لكونه يتميز بالعديد من الصفات كالتقدم، والذكاء، ... الخ، وهذا ما جعل "أمديو" يتخلى عن هويته الأولى محاولا بناء هوية جديدة مبنية على أساس الواقع الذي يعيشه في الوقت الراهن ذلك «أنّ الهوية أمر يتم بناؤه باستمرار وأنّ الثابت في مفهوم الهوية هو مفهوم التغير، أي يحاول بناء هوية جديدة مبينة على أساس الواقع وما هو حاضر»[2]، وهنا إشارة إلى أنّ الهوية ليست موضوعا ثابتا، بل هي موضوع قابل للحركة والتغيير،

[1]– المصدر السابق، ص117.

[2]– عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر، ص59.

فالهوية من خلال هذا السياق ليست شيء مكتسب وإنّما هي شيء يخلق نظرا للواقع أو الحاضر التي تعيشه الذات، وذلك بحسب درجة وعيها بالعالم المحيط بها.

وقد يكون التغير الملحوظ الذي طرأ على حياة "أمديو"، من كل النواحي نتيجة للتحرر الفكري الذي يتميز به المجتمع الغربي، الذي لا يركز على الحاضر ولا ينشغل بالماضي وذكرياته، و"ستيفانيا" خير مثال على هذا« أحب ستيفانيا لأنّها متعلقة بالحياة، أعشق ذاكرتها الخالية من الكوابيس. أريد أن تصيبني بالعدوى: عدوى الحياة، عدوى الحب، عدوى المستقبل، وعدوى العواء السعيد، أووووووو.....»[1]، وهنا يحتل الآخر –ستيفانيا– مكانة مهمة جدا بالنسبة للأنا "أمديو" إذ يقول "هتر باجو" « الاعتراف بالآخر باعتباره متميزا ولا يمكن الاستغناء عنه»[2].

غالبا ما يكون اللّجوء للمجتمع الغربي هو هروب من المجتمع العربي الذي يتميّز بالانغلاق، فقد تأثّر"أمديو" بأفكار وعادات وثقافة الآخر، وقلده في كل شيء تقليدا أعمى، ف"أمديو" هنا يعكس لنا صورة المهاجر المغلوب على أمره والمولع بالإقتداء بالآخر في سائر أحواله ، ويظهر ذلك من خلال حياته التي صارت نسخة عن حياة الآخر.

[1]– عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص125.

[2]– بوشعيب الساوري: صورة الآخر في رحلات عربية،النايا للدراسات والنشر والتوزيع،ط1، 2014، ص30.

إنّ التشبه بالآخر يعني الاعتراف بهويته، وهذا الاعتراف يدفع الذات في بعض الأحيان إلى الذوبان والانصهار فيه « عما قريب أذوب في العجين وأصبح بدوري بيتزا»[1]، لقد تخلت شخصية "أمديو" عن أهم عناصر الهوية الشخصية كالدين واللغة والثقافة....الخ، من أجل الآخر وتحديدا من أجل "ستيفانيا": «لقد ضحى أمديو بكل شيء من أجلي إذ تنازل عن وطنه ولغته وثقافته واسمه وذاكرته»[2]، فتخلي "أمديو" عن كل مقومات هويته هو في الحقيقة تخلٍّ عن عائلته التي حرصت على تربيته وتنشئته على حب الدين واللغة والوطن.

ومن المتشدّدين للهوية نجد "عبد الله بن قدور" فهو جزائري أصيل لم يرض بالتخلي عن أي سمة من سمات هويته، فبرغم بعده عن بلده الجزائر إلى أنّه لم يتخل عن عاداته وتقاليده وأصالته، وهذا إن دل على شيء فإنّه يدل على رفضه الشديد للآخر، وبالتالي رفض أفكاره ومعتقداته خوفا من تدمير كينونة الذات «لن أغيرّ جلدي ولا ديني ولا لغتي ولا بلدي ولا اسمي مهما حدث، أنا فخور بنفسي ليس مثل المهاجرين الذين يغيرون أسمائهم حتى ينالون رضى الإيطاليين»[3].

وهنا نجد أنّ"عبد الله بن قدور" يعتزّ بهويته الفردية، باعتبارها من مقوماته الخاصة التي تجعله يتفرد عن غيره، حيث يلجأ كل واحد منّا «إلى هوية قد ورثها من مجتمعه وبيئته وأسرته وهذا ما يؤدي إلى كون

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص30.

[2]- المصدر نفسه، 117.

[3]- المصدر نفسه، ص130.

الإنسان العربي اليوم تتخطّفه مجموعة من مشاعر الانتماء كالعروبة والإسلام والقبلية والطائفية والدين»[1]، يُمثّل "عبد الله بن قدور" بلده وثقافته بامتياز إذ يمقت وبشدة كل من ينكر أصله، فهو يعشق الجزائر وكل ما يتعلق بها، إذ يقول « أنا أعرف أن اسمي عبد الله، كما أعرف تمام المعرفة أنه اسم عسير النطق عند الإيطاليين رغم هذا أقسمت أن لا أغيره ما دمت حيا»[2].

ومن المتعصّبين للهوية نذكر أيضا شخصية "بارويز" الذي صوّر لنا من خلال مواقفه "أمنية مهاجر" يأمل أن يلتقي بزوجته وأولاده، ويشمّ رائحة وطنه ذات يوم، فهو على يقين بأنّ هذا اليوم سيأتي لا محالة، وذلك لإيمانه بهويته الإيرانية التي لم يتخلّ عنها رغم ما مرّ به من صعوبات عرقلة حياته في الغربة «إن بارويز لا يقوم بما يطلب منه لأنّه لا يعرف الإيطالية، فهو لا يفرق بين المقلاة أو الطنجرة أو بين البصل أو الجزر أو بين الريحان أو البقدونس»[3].

فغالبا ما يُطرد "بارويز" من عمله لعدم إتقانه اللغة الإيطالية، وربما يرجع هذا إلى خوفه من نسيان لغته الأصلية–اللغة الإيرانية–،إذا ما تعلم شيئا من اللغة الإيطالية، لذلك نجده يعيش في عالم آخر يذكره بعالمه الجميل الذي تركه خلفه خوفا من الهلاك «بالنسبة لبارويز الطبخ الإيراني بتوابله وروائحه هو ما تبقى من الذاكرة بل إنها الذاكرة والحنين ورائحة الأحبة هذا الطبخ هو الخيط الذي يربطه بشيراز التي لم يغادرها

[1]– عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع«دراسة في الفكر العربي المعاصر»، ص60.

[2]–عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص29.

[3]–المصدر نفسه، ص27.

أبدا بحيث أمر بارويز، لا يعيش في روما وإنّما في شيراز!»[1]، يحرص "بارويز"للتخفيف من الشعور بالغربة بإعداد كل الأطباق التقليدية الإيرانية، تأكيدا على أنّ عاداته لن تتغير مهما بعدت مسافات الانفصال عن البلد الأم، ولن تخضع لأي مؤثرات خارجية، فالطبخ – عند بارويز – رمز من رموز الهوية الإيرانية نفسها.

رغم الاختلاف والتفاوت الفكري حول موضوع الهوية بين محافظ لها ينح منحى الثبات، وبين متخل عنها ينح منحى التماثل لهوية أخرى، نجد أنّ العلاقة التي جمعت "ستيفانيا" ب"أمديو" أعطت بعدا آخر للهوية نفسها؛فقد اتّسم بإيجابية موقف الآخر الغربي–والذي تمثله ستيفانيا– من الأقليات أو المهاجرين، وأعطت مفهوما خاطئا للهوية القائم على الانغلاق والثبات والتعصب الهوياتي من خلال شخصية "أمديو"، وكأنّ علاقتهما– "أمديو" و"ستيفانيا"–أرادت أن تؤسس شراكة إنسانية تتعدى التعصّب الهوياتي، وتقوم على مبدأ قبول معتقدات الآخر، باعتبارها تصورات ثقافية قائمة على مبدأ الحب والمودة والتسامح، ذلك أنّ الهوية « ليست ثابتة في الزمان والمكان، بل متغيرة، وفي الوقت نفسه تتم بالثبات، لأنّ الشخص يبقى هوهو، من الولادة إلى الوفاة»[2].

[1]– المصدر السابق، ص29.

[2]– عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، دراسة في الفكر العربي المعاصر، ص60.

سابعا– الهوية والإيديولوجيا:

قبل أن نتعمق في العلاقة الضمنية والخفية التي تربط الإيديولوجيا بالانتماء والهوية يجب أولا الوقوف قليلا عند هذا المصطلح، فمن البديهي القول أنّ لكل مصطلح إرهاصاته وجذوره، فلا يوجد مصطلح ولد من العدم«حيث يعود مصطلح الإيديولوجيا إلى جذور ضاربة في التاريخ إلى فلسفة الأنوار على وجه الخصوص هذه الأخيرة كانت في صراع حاد وحرب مع الكنيسة ذلك أنّ الفلاسفة يرون أنّ الكنيسة سلطة تكبّل العقل وتمنعه من التفكير وتحجب عنه الحقيقة في حين تراه الكنيسة شيء مقدس وأنّ الفرد لا يكتسب حريته إلا برعاية إلهية»[1]، ومن هنا يتجلى لنا أنّ مصطلح الإيديولوجيا كان نتاج صراع وتضارب دام طويلا بين سلطتي الفلسفة وسيطرة الكنيسة؛حيث ترى الفلسفة أنّ سلطة الكنيسة تشكل عائقا كبيرا على العقل، فهي تقيده وتحد من تفكيره.

أمّا عن المدلول اللغوي للمصطلح "ومعناه logos ومعناه "فكرة" "iedia" «نجد أنّها مركبة من مقطعين "علم"، إنّها تعني علم الأفكار ويراد بها ذلك العلم الذي يدرس الأفكار من حيث نشأتها وقوانينها»[2]، وقبل أن ينتقل هذا المصطلح للدلالة على علم الأفكار ودراستها كان يدور حول كل ما له علاقة بالفلسفة إذ يتضمن مصطلح إيديولوجيا « معنى الوهم المرتبط بسلطة مانعة (الأغنياء والنبلاء) والتي تعمل على حجب الحقيقة وما إن اتصل هذا المصطلح بالحقل السياسي حتى ازدوجت دلالته حيث انتقل

[1]– عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، الدار البيضاء، بيروت ، ط4، 1988، ص17.

[2]– الذهبي اليوسيفي: الأدب والإيديولوجيا في النقد الحديث دار المتوسط للنشر، ط4، 1437، 2011، ص92.

الاهتمام من مشروع "علم الأفكار" إلى اصطلاح الفكر بالكشف عن الأوهام التي يستعملها المتسلطون (الرهبان، النبلاء، الأغنياء). ليمنعوا عموم الناس من اكتشاف الحقيقة»[1].

يتضح لنا أنّ الإيديولوجيا كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالجانب السياسي، وذلك عن طريق الأوهام والأكاذيب التي خلقها المتسلطون لبناء واقع زائف لا يمُتّ للحقيقة بأي صلة؛ إذ تتخذ السلطة المهيمنة من سياسة العبد والسيد مبدأ لها، وهنا تتقمص الطبقة الحاكمة والمتمثلة في المجتمع الإيطالي، دور السيد الظالم والمستبد الذي يفرض آرائه وقراراته على الطبقة الكادحة والتي تعُدّ بمثابة العبد الضعيف الذي لا حول له ولا قوّة له، فهو مجرد تابع لا يملك حق التعبير عن أفكاره ولا حتى التعريف بهويته وانتمائه.

وقد تجلّت سياسة العبد والسيد بصورة أوضح في موقف"بارويز" من "الطبخ الإيطالي" و"اللغة الإيطالية"، ذلك أنّ هذه الشخصية لم تكن تجيد الطبخ الإيطالي ولا حتى تتقن تكلم لغة الآخر، لذلك كان يرمى دائما لغسل الصحون وتنفيذ الأوامر « قشّر البصل يا بارويز! سخّن الماء يا بارويز!، ضع الجزر في الثلاجة يا بارويز!، راقب السباغيتي يا بارويز!، غسل الفواكه يا بارويز!، نظّف السمك يا بارويز!»[2].

[1]– عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ص29.

[2]–عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون تعضك، ص19.

فقد كان الإيطاليون ينظرون إلى"بارويز" نظرة دونية، فذنبه الوحيد أنّه لا يجيد طبخهم ولا يفقه شيئا عن لغتهم يقول:« قيل لي أكثر من مرة إذا أردت أن تشتغل طباخا في إيطاليا يجب عليك أن تتعلم أصول الطبخ الإيطالي. ما حيلتي! لا أطيق رؤية البيتزا والسباغيتي وأخواتها!»[1].

وفي هذا السياق تتمثل لنا بشكل واضح مقولة "هومي بابا":«صر أبيض أو اختف»[2]، وقد استعملت هذه العبارة للتعبير عن الرجل الأسود في علاقته مع الرجل الأبيض، فلكي يثبت—الأول- ذاته عليه أولا أن يتجرد من أصله، وهذا هو الحال مع "بارويز" فلكي يثبت ذاته عليه أن يتجرد من أصله وهويته وانتمائه، ولكي يكسب ود الإيطاليين واحترامهم، عليه التخلي عن لغته الأم "الأصلية"، التي هي رمز الأصالة والانتماء، بالإضافة إلى التخلي عن عاداته وتقاليده التي ورثتها، وهذا ما رفضه "بارويز" بشدة، حيث اتخذ موقف العداء من كل من يتناقض مع ثقافته وهويته وعاداته يقول "أمديو":«حاولت أكثر من مرة إقناع بارويز بتعلم أصول الطبخ الإيطالي لكنه رفض»[3].

فالهوية حسب "إبراهيم أبراش" «هي مجموعة الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف بنفسه، في علاقته بالجماعة الاجتماعية، التي ينتمي إليها والتي تميزه عن الأفراد المنتمين للجماعات الأخرى، وهذه الخصائص أو المميزات الجمعية لا تكون صدفة أو تقرر في لحظة تاريخية بل تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) وطابع حياتها (الواقع

[1]-المصدر السابق، ص17.

[2]- هومي بابا: موقع الثقافة، ترجمة: ثائر ذيب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004، ص134.

[3]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص28.

الاجتماعي) وتعبيرات تابعة مثل: الرموز، العادات، التقاليد، اللهجة أو اللغة.....»[1]، ف"بارويز" لم يستطع تقمص دور الضعيف التابع لهوية وثقافة غيره لأنّ السيد الذي بداخله كان يناجيه، ولم يسمح له بالرضوخ للآخر الذي يشكل خطرا على مقوماته الذاتية « تكمن مشكلتي الأساسية في عدم قدرتي على الانصياع لأوامر الآخرين في المطبخ. إنّني أنفر من دوري مساعد طباخ بل أفضل غسل الصحون وتحمل آلام الظهر والمفاصل على الاستجابة للأوامر»[2].

كما يقول في موضع آخر مؤكّدا على مدى قدسية ذاته: «بارويز منصور صمدي لا يطئ سفينة إذا لم يكن هو القبطان»[3]، فوعي "بارويز" بحريته، قاده إلى الوعي بالتحرر من عبوديته «والعبد يظل عبدا ما لم يع أنّه عبدا، وعيه لعبوديته يقود إلى وعي الحرية»[4]، ذلك أن وعي الأفراد لوضعهم الحقيقي هو الذي يعكس لهم الواقع الراهن بإيجابياته وسلبياته، ويفضح الإيديولوجيا المنتهجة في حقهم، خاصة وأنّ «الإيديولوجيا مجموعة المفاهيم التي تكونها جماعة من البشر عن أوضاعها في ظرف تاريخي معين»[5].

---

[1]- جاد بن عبد الله القاسم:العولمة الثقافية وأثرها على الهويةwww.faculty.ksa.edy

[2]-عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص19.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات، بيان من أجل ولادة الحضور، ص65.

[5]- الذهبي اليوسفي: أدب والإيديولوجيا في النقد الحديث، ص104.

من خلال المفهوم السابق تتضّح لنا العلاقة الضمنية بين الإيديولوجيا والهوية؛ فالإيديولوجيا التي ينتهجها فرد معين قد تكون بمثابة وعي هذا الفرد لهويته، حيث تجعله يتحكّم أكثر في وعيه الاجتماعي والثقافي والإيديولوجي، ويستطيع بناء عليها أن يرفض التخلي عن مبادئه.

كما يقصد بالإيديولوجيا أيضا: « مجموع الانعكاسات والانكسارات داخل المخ البشري الذي يعبّر عنه ويبينه بواسطة الكلمة، الرسم، الخط، أو شكل سيميائي ومن ثم عندما يقول إيديولوجيا فإنّ ذلك يعني داخل إشارة أو كلمة أو رمز...»[1]،يتضّح من خلال هذا القول أنّ مفهوم الإيديولوجيا يتخذ منحى مفاهيمي مختلف من حيث أنّه يمثل مجموعة الأفكار والتصورات التي يتبناها الفرد للتعبير عن هويته الأيديولوجية بطريقة رمزية أو مباشرة من خلال الكلمة، الاسم، الخط،أو الرمز.....الخ، وهي – الإيديولوجيا– من خلال هذا المفهوم تتقاطع مع مفهوم الهوية عند"عبد الله الشامي" في قوله: « يمكن تعريف الهوية بأنّها شفرة(...) بالإضافة إلى الشفرة تتجلى الهوية كذلك من خلال تغيرات خارجية، الرموز، الألحان، العادات التي تنحصر قيمتها في أنّها عناصر معلنة اتجاه الجماعات الأخرى»[2].

ينعكس المفهومين السابقين–لكل من الإيديولوجيا والهوية–في رواية "عمارة لخوص" من خلال شخصية "بارويز"، هذا الأخير التي اتخذت من الكلمة وسيلة للتعبير عن سبب لجوئها إلى روما متخلية عن بلدها الأم على أمل إثبات ذاتها وهويتها الأصلية، لكنّها تتهم بالكذب والتزوير، فتتخذ من الصمت رفيقا

[1]– ميخائيل باختين: النقد الروائي، تر:محمّد برادة، دار الفكر والدراسات، القاهرة، باريس، ط1، 1998، ص22.

[2]– رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل عالم المعرفة، المجلس للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 244، أغسطس، آب، 1997، ص7.

لها، يقول أمديو: «لم يصدقوا أنه هرب من شيراز بعد أن عثر حراس الثورة عن بعض المناشير السياسية التابعة لمجاهدي خلق في مطعمه. صحيح أن بارويز بعيد عن النضال السياسي ولا علاقة له بالأحزاب المعارضة لكنّه كان مهددا بالموت الأكيد! لقد فر في ليلة مشؤومة دون أن يقبل صغاره وزوجته، لم يكن لديه الوقت الكافي لتوديع حبيبته شيراز!»[1]. لم يتمكن "بارويز"من إقناع الشرطة الإيطالية بالسبب الرئيسي الذي جعله يغادر بلده، بل كان محل استهزاء واستخفاف من طرفهم، إذ قيل له: « إن القصة التي رويتها عن هروبك من إيران قصة ملفقة لا تمتّ للحقيقة بصلة إنها قصة تخلو من مشكلة سياسية فهي أقرب إلى الطبخ من السياسة، لهذا السبب طلبك مرفوض »[2].

فما أقسى أن تُتّهم بالكذب! وما أبشع أن تكون السلطات القانونية، التي تتحدث باسم القانون ضد تقبل وتصديق الحقيقة! بدل أن تكون الجسر العابر الذي يوصلنا إلى الحقيقة ذاتها.يقول "أمديو" موضحا الحالة التي آل إليها "بارويز" بسبب إهانة السلطات الإيطالية له: «..... عندما رأيته مكمم الفم، أحسست بزلزال رهيب في كل أطراف جسمي لم أقو على الكلام، أمسكت يده واحتضنته بقوة. يا إلهي! من أين يأتي كل هذا الحزن؟ ما هو الصمت؟ ما الفائدة من الكلام ؟»[3].

[1]–عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 30.

[2]–المصدر نفسه، ص29.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لقد وصل"بارويز" إلى هذه الحالة بسبب قمع السلطات الظالمة له،وما فرضته عليه فرضا، وهذا ما عرف عند "ميشال فوكو". « على أنّه ليس مجرد منع وإسكات بل هو إقصاء وإسكات وإعدام ما يجب قمعه بمجرد محاولة ظهوره، إنّه يعمل فوق آلية ثلاثية من التحريم والتغيب والصمت»[1].

ترى السلطة الإيطالية أنّها وحدها من يمتلك الحقيقة المطلقة، لذلك منعت"بارويز" من الكلام وأعدموا الحقيقة التي بداخله، فلجأ إلى الصمت بدل الدفاع عن نفسه، والتغني بأصوله وعاداته وأرض بلده وأجداده يقول بارويز: «عدت في الحال إلى بيت البلدية حيث كنت أقيم، أخذت إبرة وخيط ونقّذت فكرتي .لا أزال أذكر صرخة المساعدة الاجتماعية: "يا إلهي، بارويز خاط فمه !يا إلهي، بارويز خاط فمه !". تدخّل أكثر من شخصية لإقناعي بفكّ الحصار عن فمي، لكنني رفضت»[2]، وهذا التحول من الكلام إلى الصمت حسب "ميشال فوكو" «ما هو إلّا صيغة أخرى للخطأ بعبارة أخرى»[3].

بلجوء "بارويز" إلى الصمت يرتكب نفس الخطأ الذي صدر من السلطات القانونية، أي أنّه طمس هويته وإيديولوجيته بدل التعريف بها والدفاع عنها بشتى الطرق، ومعاناته بدأت عندما لم يتخل عن هويته أو يتنكّر لها، فلكل إنسان هويته ولكل وطن هويته وانتمائه أيضا« فثمّة نظرة خاصة إيديولوجية ومغلقة، ترى إلى الأمة بوصفها هوية كلية مفردة، تنفي داخلها كل تمايز واختلاف بحيث تبدو الأمة روحا مطلقا أو

[1]– عبد العزيز العيادي: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1944م، ص22.

[2]–عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص21.

[3]– عبد العزيز العيادي:ميشال فوكو المعرفة والسلطة، ص28.

جوهرا» [1]، يعبّر المجتمع عن صورته الحقيقية بتفادي الغرق في التقليد والمحاكاة، وهو الأمر الذي يجعله يحافظ على مكانته، ولا يتحول إلى مجرد صورة زائفة عن غيره.

ثامنا– الهوية وإيديولوجية المكان:

يمّثل المكان « الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية»[2]، وقد كان حضوره فعال في رواية"عمارة لخوص"، إذ عالج جوانب مهمة من الحياة الخاصة، وما تعلّق بذات الإنسان وسلوكاته التي تتحدث عن هويته، فالمكان ليس مجرد رقعة جغرافية محددة، بل قد يحمل في طياته حمولات إيديولوجية معينة.ولقد تميز حضور المكان في رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بين توظيف الأماكن المغلقة والمفتوحة، ولكل منهما دلالة خاصة.

أ– الأماكن المفتوحة:

ترد في الرواية مجموعة من الفضاءات، التي يرتبط كل واحد منها بوجود نوع خاص جدا من العلاقات التي تجمع بين شخصيات الرواية نفسها. ومن بين الأماكن التي يمكن رصدها ما يلي:

[1]– أدونيس: المحيط الأسود، ص33.

[2]–سيزا قاسم:بناء الرواية، دراسة مقارنة في« ثلاثية» نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، دط، 2004، ص12.

أ–1 روما:

لا يمكننا أن نتحدث عن أهمية الفضاء المكاني في الرواية دون الوقوف عند مدينة روما والتي احتلت مساحة واسعة في الرواية، باستقطابها للكثير من الأشخاص من مختلف البلدان والجنسيات، لذلك لطالما تعودنا سماع عبارة"كل الطرق تؤدي إلى روما".

فإذا بحثنا عن تاريخ روما قديما، وجدنا أنّها كانت تحتل الكثير من الدول المجاورة لها، وكانت إذا ما احتلّت دولة معينة فتحت لها طريقا يربطها بها، ولهذا أصبح يقال "كل الطرق تؤدي إلى روما"، فقد فتحت روما الباب على مصراعيه لكل اللّاجئين، وأصبحت بالنسبة لهم حلما يتطلعون لتحقيقه بغية التخلص من رتابة الحياة، لكن هذا الحلم سرعان ما اندثر، إثر اصطدام المهاجر بقساوة الحياة في الغربة وتحديدا في روما.

إنّ «المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي»[1]. فروما هي الحيز المكاني الذي اختصر لنا معاناة المهاجر في بلد غير بلده.

أ–2 ساحة سانتا ماريا:

هي ساحة تتوسط مدينة روما، إذ تعد متنفّسا لبعض المهاجرين الذين يقومون بممارسات يومية للتخلص من آلامهم وأحزانهم، إذ نجد "بارويز" مثلا يكتسح ساحة "سانتا ماريا" كل يوم لإطعام الحمام

[1]– المرجع السابق، ص103.

«كما تعلمون ساحة سانتا ماريا جوري ساحة يرتادها الحمام، أنا أعشق الحمام وأجد متعة في إطعامه»[1]، إذ كانت ساحة سانتا ماريا بمثابة علاج نفسي للحد من الرهاب والمخاوف التي تعتري الإنسان جراء وجوده في بلد غير بلده.

فقد تعدت"ساحة سانتا ماريا" الجانب الجمالي باعتبارها مكان سياحي بامتياز لتشمل الجانب النفسي الذي يُعدّ جانب مهم من جوانب الذات الإنسانية يقول "بارويز": «تعودت على الجلوس يوميا قرب النافورة المقابلة لمدخل كنيسة سانتا ماريا جوري إمّا لإعطاء القمح أو البكاء».[2]

ب- الأماكن المغلقة:

تحتفي رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" بمجموعة من الأماكن المغلقة ، نذكر منها :

ب-1- البار:

يُعدّ البار من أكبر المنابع التي تشهد على الفساد الخلقي الذي يطبع الحضارة الغربية، وهو من أكثر الأماكن التي يرتادها المهاجرون لأسباب عديدة ،وهذا الأمر يجعلنا نتساءل، هل اللجوء إلى البار مشكل ضعف وخضوع ؟ أم وسيلة للتخلص من الصراع والانقسام الداخلي؟ والذي يشهده ما وراء البار.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص24.

[2]- المصدر نفسه، ص16.

ومن خلال تعمقنا في الرواية لمسنا هذا الرضوخ للآخر، وتقليده في كل شيء حتى في عاداته اليومية،من خلال شخصية "أمديو" الذي شكل ومن دون أي شك صورة طبق الأصل عن الإيطاليين، خاصة من خلال ظهور أفكاره التحررية التي شملت الثقافة ،والدين ،وغيرها، لقد كان "أمديو" يرتاد "باردنديني"كل صباح « وصار بار ساندرو المحطة الأولى قبل الذهاب إلى العمل»[1].

في حين لو نظرنا إلى البار من زاوية أخرى، سنجد أنّه كان بمثابة خيار للمهاجرين هروبا من ظروفهم النفسية، والجسدية، والعاطفية أيضا« ذهبت مباشرة إلى أول بار صادفته (.....) جلست كعادتي ورحت أشرب وأبكي»[2].

ب-2-العمارة:

تمثّل العمارة مبنى كبير يتكون من مجموعة من المساكن تتموضع في طوابق متعددة، يقطنها أفراد مختلفين في الهوية، والثقافة، والدين، ومتفقين على أن روما هي المنقذ الوحيد لهم، وقد جسدت لنا هذه العمارة معاناة وآلام الاغتراب التي مرّ بها المهاجرون جراء الظلم والاستبداد الذي عرفوه من قبل الآخر الطاغي.

ولعلّ نموذج "بندتا" حارسة العمارة خير مثال على المعاملة السيئة التي كانت تعامل بها المهاجرين، فقد كانت تهينهم وتسبّهم بأفضع العبارات، خاصة كل من "بارويز" و"ماريا كرستينا" اللّذين عانيا كثيرا من

[1]- المصدر السابق ، ص16.

[2]- المصدر نفسه، ص20.

قسوتها وتسلّطها وجبروتها ممّا خلّف لديهما إجهادا عقليا ومعاناة نفسية، فالتّعرض للعنف تجربة مؤلمة قاسية، قد يؤدي بالفرد إلى الاكتئاب ، وأحيانا قد يوصله الأمر إلى تدمير الذات كلية «.... أنا أغار من هذا الكلب الصغير، تمنيت أن أكون في مكانه، هل أنا إنسان؟ في بعض الأحيان أشك في إنسانيتي»[1].

ب-3- المطبخ:

لقد كان لحضور المطبخ في الرواية دلالة خاصة، إذ كان "بارويز" شديد التعلق بهذا المكان إذ يقول: «لكل شخص مكان يرتاح فيه (...)، أمّا أنا فأرتاح في المطبخ: فلا غرابة في ذلك فأنا طباخ ماهر ورثت أصول الطبخ أبا عن جد»[2]، فالمطبخ بالنسبة ل"بارويز" رمز للوطن المفقود والذي غادره بلا رجوع، فنكهات الطبخ تذكره برائحة أرضه، فمهما اغترب الإنسان يبقى متعلقا بوطنه حتى يعود إليه مجددا: «بالنسبة لبارويز الطبخ الإيراني بتوابله وروائحه هو ما تبقى من الذاكرة والحنين ورائحة الأحبة معا»[3].

فالمكان لا يُوضع اعتباطيا إذا لم يكن هناك خيط شعوري يربطه بفرد معين، «وهذا ما يعكس لنا علاقة الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه فإنّ الإنسان يعيش في مجموعة من القواقع يتميز كل منها بصفات خاصة بالنسبة إلى علاقته بها»[4]، فالمطبخ عند بارويز بمثابة علبة الذكريات التي يستجمع بها كل الأحداث

[1]- المصدر السابق، ص78.

[2]- المصدر نفسه، ص29.

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- سيزا قاسم:بناء الرواية دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ، ص106.

التي وقعت له، والتي يحتفظ بها في مخزونه الذاكراتي، فهناك جوانب كثيرة من الحياة لا تتعرى إلّا في لحظة ضعف وانكسار، والطبخ هنا هو دواء الألم الذي يعتري "بارويز".

ب-4- المصعد:

لقد كان لحضور المصعد مكانة خاصة في رواية "عمارة لخوص"، خاصة وأنّه كان سببا رئيسيا في مشاكل العمارة، فهناك من اعتبر وجوده أساسي في الحياة، وهناك من اعتبره كظلمة القبر، يقول "بارويز":«إنّه كالحياة تماما لا يخلو تماما من العطب تارة أنت في الأعلى وتارة أخرى في الأسفل »[1]، فصعود "بارويز" للمصعد بمثابة رحلة بحرية، يرحل فيها بعقله وقلبه ووجدانه إلى بلده إيران، وبنزوله تتلاشى كل ذكرياته الجميلة، إذ يجد نفسه أمام واقع مر لا يولي فيه المحيطون به أي اهتمام للمشاعر التي تختلج صدره.

أمّا "أمديو" فهو يمقت المصعد ولا يصعد فيه مطلقا لأنّه يكره الأماكن الضيقة، ونظرا لما تميزت به شخصية "أمديو" في الرواية، ربّما قد يكون سبب كرهه لهذا النوع من الأماكن هو كره للانغلاق والتقوقع حول الذات، على خلاف الأماكن الواسعة التي ترمز إلى الانفتاح والتحرر من التعصب الهوياتي. كما يُعدّ المصعد هنا بمثابة وسيلة لتلاقي مختلف الهويات، إذ أعطى وجوده بُعدًا أيديولوجيا للرواية كونه يجمع مختلف الثقافات والأجناس تحت مضلة واحدة.

[1]- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ص 14.

ب-5- المرحاض:

ومن الأمكنة الغريبة التي كان يرتاح فيها "أمديو" نجد المرحاض« أنا أرتاح في هذا المرحاض الصغير ألا يُسمّى المرحاض عندنا بيت الراحة ! المرحاض هو المكان الوحيد الذي يضمن لنا الراحة الخالصة والعزلة الحلوة»[1]،فالمرحاض هو المكان الوحيد الذي يشعر "أمديو" بالأمان، رُبّما لأنّه مكان شخصي، لا يمكن لأحد مشاركته فيه كالهوية تماما.

فهروب"أمديو" إلى " المرحاض"- أعزكم الله-هو في الحقيقة هروب من مواجهة ذاته، إذ يرى في الكشف عنها عيبا وسرا لا ينبغي أن يباح به، وما كان دخوله إليه إلاّ من أجل تفريغ الفضلات التي تفرزها ذاكرته التي تنزف باستمرار، حيث يقول «.....هذا المكان هو عشي وهذا المقعد الأبيض الذي أجلس عليه لأقضي حاجتي هو عرشي»[2].

لقد ارتبط حضور المكان في رواية "عمارة لخوص"بشخصيات الرواية، فقد جسّد لنا صور مخُتزلة لحياة هؤلاء المهاجرين، باعتبارهم عناصر فعالة في تحريك مسار الرواية، وذلك عبر الدلالات التي يمكن إدراكها لطبيعة العلاقة التي ربطت كل شخصية منهم بمكان معين.

[1]- المصدر السابق، ص28.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الخاتمة

الخاتمة:

توصل البحث من خلال وقوفه عند موضوع الذات والهوية في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" إلى مجموعة من النتائج حاولنا أن نجملها في النقاط التالية:

- حظي مصطلح الذات باهتمام مجالات معرفية مختلفة كعلم النفس ،وعلم الاجتماع ، والفلسفة....الخ، وقد جاءت مفاهيمه متباينة من حيث عدم الإقرار بوجود مفهوم جامع مانع له.

-ربط علماء الاجتماع مصطلح الذات بالمجتمع، عن طريق التأثيرات الخارجية التي من شأنها أن تؤثر في سلوك الفرد، وتجعله يكتسب أفكارا جديدة مغايرة لطبيعة أفكاره، وهناك من أقرّ بأنّ الذات تنمو ونمو الفرد.

- إنّ الغموض والتعقيد اللذين تميّز بهما مصطلح الذات جعلانه يحظى باهتمام العديد من علماء النفس، وعلى رأسهم "سيغموند فرويد" الذي أقرّ بوجود ثلاث عناصر تتحكم في الحياة النفسية الباطنية ،فإذا انعدمت هذه العناصر؛ الهو ، الأنا ، الأنا الأعلى ، يصبح الإنسان مجرد مسيّر لجملة من الميولات.

- يحصر علماء الأخلاق مصطلح الذات بمدى وعي الإنسان بالقيم الأخلاقية التي نشأ عليها، كالصدق، التعاون، ...الخ، وهذا ما انعكس بشكل واضح في رواية "عمارة لخوص"من خلال العلاقة القائمة بين شخصيات الرواية نفسها.

– إنّ المرونة التي يتميز بها مصطلح الذات جعلته يجذب علماء السياسة له، إذ تنشأ الذات السياسية انطلاقا من علاقتها بالبيئة الاجتماعية المحيطة بها والتي قد تتسم بالسلب أو الإيجاب .

– لا تتحدّد دلالة العنوان من خلال المعنى الظاهر وإنما بالقراءة الباطنية التي من شأنها أن ترفع الستار على أبعاد دلالية مضمرة، لذلك رسم لنا عمارة لخوص من خلال روايته "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" المأساة التي تعيشها الذات إثر اصطدامها بالآخر المغاير لها ثقافيا ودينيا ...الخ، ما جعل الذات تلجأ إلى حلول من شأنها أن تخفف من معاناتها رغبة في إثبات حضورها كتعلّم لغة جديدة مغايرة للغة الأم.

– صور لنا عمارة لخوص الأزمة النفسية التي يعيشها المهاجرون بين صراع الذاكرة وصد هجماتها، وبين الامتثال لنزوعات الذكريات التي تمثلت من خلال صحوة الذاكرة .

– تتجلّى الذات في رواية"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك من خلال بطل الرواية " أمديو" الذي استطاع من خلال يومياته أن يعبّر عن المواقف اليومية التي مرّ بها بحلوها ومرها، بالإضافة إلى الاعترافات التي عكست لنا المشاعر السلبية والإيجابية التي تعتري الذات بصدق ومن دون تزييف أو تنميق.

– إنّ مفهوم الهوية مفهوم إنساني بامتياز، فقد كان مدار اهتمام العديد من الحقول المعرفية:كعلم الاجتماع علم النفس، الفلسفة...الخ ، حيث تباينت مفاهيمه من حقل معرفي إلى آخر؛ فمن الجانب الاجتماعي تتحدد الهوية من خلال القيم الإيجابية التي يمكن للفرد أن يتحلّى بها ،أمّا من الجانب الفلسفي فإنها تتميز بالثبات والسكون، أمّا من الجانب النفسي فهي ترتبط بوعي الذات لذاتها على أنها "هي هي".

– تعد العادات والتقاليد، والثقافة، والتاريخ ....الخ ،من أهم الثوابت التي تحافظ بها الذات على هويتها، خاصة في ظلّ تخلي البعض عنها في بلاد الغربة بسبب انبهارهم بالآخر، وفي ظل وجود مجموعة من المؤثرات الخارجية.

– لقد صورت لنا رواية "عمارة لخوص"معاناة المهاجر إثر تكالب العدو عليه، بكل ما مارسه الآخر ضده من قمع ورفض واضطهاد وعبودية. كما تجلت لنا صورة الأنا والآخر في الرواية من خلال سياسة الرفض التي كان ينتهجها المواطنون الإيطاليون في حق المهاجرين، مما ولّد لديهم قهر داخلي وأزمات نفسية ، وهو أيضا من ضمن الأسباب التي ولّدت الشعور بالحقد والكره اتجاه الآخر.

– عكست لنا "رواية عمارة لخوص " العلاقة الضمنية والعميقة التي تربط الهوية بالإيديولوجيا، ذلك أن الأيديولجيا ما هي إلا توجهات فكرية معينة يميزها الصراع والتضارب الذي قد يفضي إلى صراع الهوية.

– ليس المكان مجرد فضاء جغرافي محدد له معالم مرسومة، بل هو علبة مليئة بالذكريات والتجارب الإنسانية .كما تميز المكان في رواية عمارة لخوص بالانفتاح تارة والانغلاق تارة أخرى.

– لكل شعب مجموعة من الثوابت المقدسة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات الأخرى ، فهناك من ظلّ متمسكا بخصوصيته الثقافية، وهناك من تجرّد منها كلية باعتبارها قيود تكبّل حريته، وقد انعكس هذين التوجهين من خلال مواقف شخصيات الرواية؛ بين شخصيات غيرت ثوابتها جذريا، وبين أخرى رفضت أيّ شكل من أشكال الانصياع لثقافة أو معتقدات الآخر، فاستطاعت بذلك أن تحافظ على هويتها.

الملحق

من هو عمارة لخوص؟:

من مواليد عام 1970م بالجزائر العاصمة، متخرج من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، حصل على الدكتوراه في علم الأنثروبولوجيا في جامعة روسيا، وأقام في العاصمة الإيطالية منذ عام 1995م، يكتب باللغتين العربية والإيطالية، غادر الجزائر إبان العشرية السوداء.

مؤلفاته:

- رواية البق والقرصان والتي تمثل بداية أعماله الروائية، كتبها عام 1993م، إلا أن نشرها تأخر قليلا إلى عام 1998م.

- رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، ترجمت إلى الإيطالية تحت عنوان صراع الحضارات حول ساحة فيتوريو، وفي عام 2010م أنتج على شكل فيلم سينمائي من إخراج "إيزوت إيزو".

- رواية القاهرة الصغيرة سنة 2010.

- رواية مزحة العذراء الصغيرة عام 2014.

- رواية أدرميا عام 2014.

جوائزه:

- حاز على جائزة فلايانو الأدبية الدولية عام 2006.

- حاز أيضا على جائزة المكتبين الجزائريين عام 2008.

ملخص الرواية:

حظيت رواية " كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك " باهتمام كبير من طرف المشتغلين في الوسط الفني، فأنتجت على شكل فيلم سينمائي. تقدّم هذه الرواية في مئة وخمسين صفحة من القطع المتوسط، وهي مقسمة إلى إحدى عشر عنوانا داخليا تصحبها عواءات-كل عواء يشكل فصلا من فصولها- كل عواء يخصّ شخصية معينة تلخص لنا أحداثها، ووقائعها الشخصية وفق مدة زمنية معينة، وقد تباينت مواقع الشخصيات في الرواية بين مهاجرين من مختلف الجنسيات ومواطنين-إيطاليين- أصليين.

تعدّ شخصية " أحمد " المدعو" أمديو "الشخصية المحورية والرئيسة التي تبنى عليها أحداث الرواية؛ هذا المهاجر الجزائري الذي كان يعدّه الكثيرون مواطنا إيطاليا أصيلا، بسبب تأقلمه السريع مع عادات وتقاليد ومعتقدات الشعب الإيطالي، فبعدما فقد أحمد حبيبته بهجة في زمن الإرهاب، قرر الرحيل، إذ انتحل شخصية أخرى مغايرة لطبيعته الأولى، متخذا من الآخر – الإيطالي -وسيلة لتناسي آلامه وجروحه، وقد انعكست معاناته في هذه الرواية على شكل يوميات يستذكر فيها الوقائع المهمة التي مر بها، بإيجابياتها وسلبياتها، ظنا منه أن البوح بها ما هو إلّا صيغة أخرى للضعف والانكسار. يرى "أمديو" ذاته في الآخر الإيطالي الذي يحسده على ذاكرته الخالية من الكوابيس، وتفكيره الخالي من التعقيد فهمه الوحيد الحاضر فحسب.

وقد استطاعت شخصية "أمديو" أن تحجز مكانا مهما في قلوب معظم شخصيات الرواية، وهذا ما يتضح من خلال الاستجوابات التي قامت بها الشرطة بعد أن اتهم -"أمديو"- بقتل إحدى شخصيات الرواية والملقب بـ"الغلادياتور" الايطالي المكروه، هذا الأخير الذي عكس لنا صورة مخزية عن الآخر، وذلك لصفاته الدنيئة .

وأخيرا انكشفت الحقيقة وتبيّن أنّ"أمديو" ليس قاتلا وهذا ما شهدت به كل شخصيات الرواية، فرغم اختلافهم في الآراء والمعتقدات إلّا أنّهم اتفقوا حول مسألة واحدة ألا وهي براءة "أمديو"، هذا الرجل الخيّر الذي كان العزاء الوحيد للكثير من المهاجرين في بلد الغربة. بداية من "بارويز" اللاجئ الإيراني الذي كان يعاني من مشكلة عدم القدرة على الاندماج والانفتاح على الآخر المناقض له في العادات والتقاليد والدين...الخ، ما خلف لديه أضرارا مادية ومعنوية، فلا هو قادر على أن يعيش في بلد غير بلده، ولا هو قادر على تأمين لقمة عيشه، فغالبا ما كان يطرد من العمل لعدم إتقانه للغة الإيطالية والطبخ الإيطالي، فعزاءه الوحيد في بلد الغربة هو صديقه "أمديو" الذي وقف إلى جانبه في أصعب ظروفه.

أمّا "إقبال أمير الله" فقد استعاد حياته بعدما ساعده "أمديو" على استرجاع أهم مكوّن من مكونات الذات ألا وهو الاسم، هذا الأخير الذي يحمل دلالة قيمة عند "إقبال أمير الله"، ولكن سرعان ما وجدت هذه الشخصية نفسها في عالم غريب لا يولي أي اعتبار للاسم. أمّا المهاجرة " ماريا كريستينا " فقد كان "أمديو" خير سند وعون لها، فقد كان بمثابة الأب الذي يحن عليها، ويقف بجانبها في أصعب الظروف، هذا وقد اتخذت ماريا من الجنس وسيلة للتخفيف والحد من آلامها الباطنية.

اختلفت الشخصيات الإيطالية في وجهة نظرها للمهاجرين أو الأقليات؛ فهناك من رفض الآخر وبشدة وعلى رأسهم " بندتا " والتي كانت تمقت المهاجرين وتتخذ من آلامهم وسيلة لإهانتهم والإطاحة بهم، وهذا ما تعرضت له كل من شخصيتي "ماريا"و"بارويز"، فتواجدهم في بلد الغربة كان كفيلا بأن يريهم المشاعر السلبية التي يكنّها الإيطاليون اتجاههم.

حيث ترى "بندتا" أنّ هذا المهاجر الدّخيل هو الذي حرمها من أبسط ضمانات الحكومة كالعمل والسكن، وهذا هو نفس منطلق تفكير المواطنة الإيطالية" إلزابتا" التي تنعت المهاجرين بالمنحرفين والمجرمين، فمكانة

المهاجر عندها تضاهي مكانة كلبها "فالنتينو"، هذا الأخير الذي تسبب في انحرافها وتحولها إلى مجرمة محترفة، فبعد اختطافه- كلبها-، بدأت تبحث عن القاتل حتى تمكنت من إيجاده، وبعدها رسمت خطة محكمة لقتله مستفيدة من المسلسلات البوليسية التي كانت مدمنة على مشاهدتها.

أمّا شخصية " ستيفانيا " فقد عكست لنا صورة الإيطالي الخير والذي يتقبل الآخر بصدر رحب، ولعل علاقتها مع بطل الرواية"أمديو" أكبر دليل على ذلك، فقد تقبلته كما هو دون الحفر في قبر ذكرياته الدفينة، فليس كل إيطالي سيئ وليس كل مهاجر خيّر.

هذه أهم الشخصيات التي تمثل بؤرة الأحداث التي جرت حولها رواية " عمارة لخوص"، لكن هذا لا ينفي الدور الفعّال التي قامت به وجوه أخرى في الرواية من مثل: أنطونيو ماريني، عبد الله بن قدور، وغيرهم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

I- المصادر:

1- عمارة لخوص: كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك، الدار العربية للعلوم، العاصمة، الجزائر، ط2، 1427، 2006م.

II- المراجع:

أ- الكتب العربية:

2- أحمد برقاوي: أنطولوجيا الذات، بيان من أجل ولادة الذات في الوطن العربي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.

3- أدونيس: المحيط الأسود، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

4- أسامة خيري: تطوير الذات، إداريا، أكاديميا، اجتماعيا، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2014.

5- أيوب لطفي مخدوم: نظريات الشخصية، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ،دط.دت.

6- برهان رزيق: الهوية العربية، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2012.

7- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط3، كانون الثاني، يناير، 2012.

8- بوشعيب الساوري: صورة الآخر في رحلات عربية، النايا للدراسات والنشر والتوسيع، ط1، 2014.

9- حسن حنفي حسنين: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.

10- حكيم أمقران: البحث عن الذات في الرواية الجزائرية الطاهر وطار أنموذجا (مقاربة سوسيو-ثقافية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط ،دت.

11- الذهبي اليوسفي: الأدب والإيديولوجيا في النقد الحديث دار المتوسط للنشر، ط4، 1437.

12- روبرتو مانغايير أونغر: يقظة الذات، براغماتية بلا قيود، عالم المعرفة، جمادى الأولى 1431هـ، مايو2010.

13- سعد البازغي، ميجان الرديلي: دليل الناقد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2002.

14- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق ودراسة مُحَمَّد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، دط، 1413.

15- طالب ياسين، التحليل الاجتماعي والنفسي لأحوال المغتربين وأحوالهم المكتبة الوطنية، عمان، ط1، 1421هـ، 1996م.

16- عبد الحق بلعابد:عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.

17- عبد الرحمن الوافي: مدخل إلى علم النفس دار هومه، الجزائر، ط4، 2009.

18- عبد السلام المسدي: الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسات سياسات، بيروت، ط1، تموز/يوليو 2014.

19- عبد العزيز العيادي: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1994م.

20- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، دط، 1992.

21- عبد الله الغدامي: النقد الثقافي في قراء الأنساق الثقافية العربية، مركز الثقافي العربي، لبنان، كويت، ط2، 2001.

22- عبد المالك أشهبون: العنوان في الرواية العربية، منشورات النايا للدراسات والنشر والتوزيع، ومحاكاة للدراسة والنشر والتوزيع سورية، دمشق، ط1، 2011.

23- العروي عبد الله: مفهوم الإيديولوجيا، الدار البيضاء، بيروت، ط4، 1988.

24- عهد كمال شلغين: الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع «دراسة في الفكر العربي المعاصر»، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2010.

25- فدوى شوقي مفلح، نوار مُحَمَّد هشام: إدارة الذات نحو النجاح والإبداع، دار البداية، عمان، ط1، 1428، 2007.

26- فؤاد زكريا: هربرت ماركيوز، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 2007,1م.

27- كارين ك: بريبس: الاكتئاب، نصائح مطمئنة لمساعدتك على العودة لطبيعتك مرة أخرى، مكتبة الشقري، المملكة العربية السعودية، الرياض، دط، 1441هـ، 2010م.

28- محروس محمود محروس، أشرف أبو الوفا عبد الرحيم: التعليم الخليط وأثره على تنمية الأداء المهاري وتقبل الذات لدى المعاقين حركيا، دار الوفا لدنيا الطباعة، الإسكندرية، ط1، 2014.

29- مُحَمَّد إبراهيم عيد: الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، القاهرة، دط ،دت.

30- مُحَمَّد الضبع: الثقافة والهوية والتكنولوجيا، مكتبة الإسكندرية، دط ،دت.

31- مُحَمَّد حسن غامري: المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 1989.

32- مُحَمَّد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد)، دراسة من منشورات اتحاد العرب، دط، 1990.

33- مُحَمَّد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مدينة السادس من أكتوبر، ط1، 1437هـ، 2012م.

34- مُحَمَّد نهران: مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994.

35- نور الدين لبصير: تجاذبات اللغة والهوية بين الأصالة والاغتراب، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، دط ، دت.

ب- الكتب المترجمة:

36- أنتوني غدنز، بمساعدة كارين بيردسال: علم الاجتماع (مع مدخلات عربيّة)، تر: فايز الصُيّاغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، دت.

37- بيكو باريك: سياسة جديدة للهوية، المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، تر:حسن مُحَمَّد فتحي، مراجعة:محمود ماجد عبد الخالق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.

38- بيير بورديو: الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، ط3، 2007.

39- ريتشارد دلوسن، كينيت برويت، كارن داوسن:التنشئة السياسية دراسة تحليلية، تر: عبد الله أبو القاسم خشيم وآخرون، منشورات جامعة بنغاري، دط ،دت.

40- ستيغن كاستلز، مارك ميللر: عصر الهجرة، تر: منى الدروبي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2013، 1993.

41- سيغموند فرويد: الأنا والهو، تر: عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، دط، 1972.

42- سيغموند فرويد: الطوطم والحرام، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، دط ،دت.

43- سيغموند فرويد: الموجز في التحليل النفسي، تر: علي عبد السلام قفاش، مكتبة الأسرة، دط، 2000م.

44- فيليب لوجون: السيرة الذاتية، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1944.

45- كوام مكنري: اكتئاب، تر: زينب منعم، دار المؤلف، الرياض، ط1، 1434هـ، 2013م.

46- مانويل كاستلز: سلطة الاتصال، تر: مُحَمَّد حرفوس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014.

47- مانويل كاستلز: سلطة الاتصال، تر:مُحَمَّد حرفوس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014.

48- ميخائيل باختين: النقد الروائي، تر:مُحَمَّد برادة، دار الفكر والدراسات، القاهرة، باريس، ط1، 1998.

49- هربرت ماركيوز: العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، تر: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، دط، 1970.

50- هربرت ماركيوز: نحو ثورة جديدة، تر: عبد اللطيف شرارة، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1971.

51- هومي بابا: موقع الثقافة، تر: ثائر ذيب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000.

52- اليكس ميكشيللي: الهوية، تر:علي وظفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، دت.

ج- المعاجم والقواميس والموسوعات:

53- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1429، 2008م.

54- إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، مصر، ط03، 1989.

55-ابن منظور: لسان العرب، دار النشر، بيروت، لبنان، ط01، مجلد15، 2000.

56-أبو البقاء أيوب بن موسى: معجم المصطلحات والفوارق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دط، 1998.

57- سعيد اللاوندي: الموسوعة السياسية للشباب، الهجرة غير الشرعية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، يوليو2017.

58- طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، دار المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، ط1، أيلول سبتمبر2010.

59-فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت.

ج- المقالات والمجلات والجرائد:

60- أحمد برقاوي: الاسم والهوية، البيان، 22 مارس2015.

61- جابر نصر الدّين، غسيري يمينة: مشكلات الشباب في المجتمع بين أزمة الهوية و المعيارية، نظرة شخصية نفسية، اجتماعية، مخبر الدراسات النفسية الاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر.

62- الحاج دواق: الدين والهوية بين طيف الانتماء وسعة الإبداع، سلسلة ملفات بحثية، 13 مايو2016.

63- خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، بغداد، ط1، 1434 ، 2009م.

64- رشا المالح: يوميات ذاكرة تسرد تفاصيلها عبر الورق، البيان، 5 يونيو، 2011.

65- رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل عالم المعرفة، العدد 244، المجلس للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، آب، 1997.

66- زهيرة بولفوس: سيميائية العتبات في رواية" كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخوص، مقال ضمن مجلة العلوم الإنسانية، مجلة علمية أكاديمية محكمة و مفهرسة نصف سنوية تصدر عن جامعة قسنطينة1، عدد 46 ديسمبر 2016.

67- صهيب شبيلي الفزاعلة، بحث عن مفهوم الذات، آخر تحديث فبراير: التوقيت 13:45.

68- علي مُحَمَّد عبده بركات: رواد السيرة الذاتية من إفرنج وعرب، مقالة ضمن مجلة العربي، العدد 165، جمادى الآخرة، 1392هـ أغسطس 1972م.

69- فريال حمود: مستويات تشكل الهوية الجامعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من الصف الأول الثانوي من الجنسين دراسة ميدانية في المدارس الثانوية في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد27، الملحق 2014.

70- مُحَمَّد نوري محمود: أزمة الهوية لدى طلبة المرحلة الإعدادية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد الحادي والثلاثون، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل.

71- مصطفى بن تمسك: الهوية والاعتراف في الفضاء الأنغلوسكسوني، مجلة حكمة، 2012/05/15.

III- المواقع الإلكترونية:

72- جاد بن عبد الله قاسم : العولمة وأثرها على الهوية. www.faculty.ksa.edy.sa

73- الشريف كرمة: اللغة العربية وعلاقتها بالهوية. www.annales-univ-mosta-dz

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
البسملة	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ-خ
الفصل الأول: تجليات الذات في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"	
أولا: في إطار المفهوم	09
1- المفهوم اللغوي لمصطلح الذات	09
2- المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الذات	11
2-1- مفهوم مصطلح الذات عند علماء الاجتماع	11
2-2- مفهوم الذات عند علماء النفس	16
2-3- مفهوم مصطلح الذات عند علماء الأخلاق	28
2-4- مفهوم المصطلح عند علماء السياسة	31
2-5- مفهوم مصطلح الذات عند علماء الفلسفة	35

ثانيا: ملامح الذات في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك	39
1- ملامح حضور الذات في عتبة العنوان	39
2- ملامح حضور الذات بين الولادة وشهوة الحضور	42
3- ملامح حضور الذات من خلال الذاكرة: (صحوة الذاكرة)	47
4- ملامح حضور الذات من خلال سلطة الاتصال	50
5- ملامح حضور الذات من خلال الأشكال المشابهة للسيرة الذاتية	54
5-1- ملامح حضور الذات في اليوميات	54
5-2- ملامح حضور الذات في الاعترافات	58
الفصل الثاني: سياسات الهوية وأبعادها في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"	
أولا: سياسات الهوية	63
ثانيا: في إطار المفهوم	65
1- المفهوم اللغوي لمصطلح الهوية	65
2- المفهوم الاصطلاحي لمصطلح الهوية	67
2-1- مفهوم مصطلح الهوية عند علماء الاجتماع	67
2-2- مفهوم مصطلح الهوية عند علماء الفلسفة	69

2-3- مفهوم مصطلح الهوية عند علماء النفس	70
ثالثا- الهوية والضمير الجمعي	72
رابعا- الهوية وسياسة الرفض	88
خامسا – الهوية وسياسة الاغتراب	96
سادسا – الهوية بين الثابت والمتحول	106
سابعا – الهوية والإيدولوجيا	111
ثامنا – الهوية وإيديولوجية المكان	118
الخاتمة	126
الملحق	130
قائمة المصادر والمراجع	135
فهرس الموضوعات	145

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة الموسومة بالذات وسياسة الهوية رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" أنموذجا، والتي تمس إحدى المشاكل العويصة التي تصادفها الذات أثناء رحلتها مع الآخر من اغتراب ورفض وعنصرية بل وقد تتعداها إلى طمس الهوية، فتصادم الذوات قد يؤدي إلى مشاكل عويصة إثر اختلاف الثقافات وتباعد أفكارها، وهذا يفضي إلى صراع داخلي بين الذات والآخر المضاد.

الكلمات المفتاحية:

الذات، الهوية، الآخر.

Summary:

This study, which is characterized by self and the politics of identity, seeks the novel "How to suckle from lupus without biting you" as a model, which touches upon one of the difficult problems that the self encounters during its journey with the other, including alienation, rejection and racism, and it may even go beyond it to obliterate the identity, so the collision of the selves may lead to severe problems as a result Different cultures and divergence of their ideas, and this leads to an internal struggle between the self and the opposite other.

Key Words:

Self, identity, the other.